

نجم محفوظ

الحداثة السيرة الذاتية



طوبى خان بكتبة ملانز

892.786

٥٣

صنف

١



الاصداق
السيرة
الخاصة

نجيب محفوظ



لين

حركة الأدب

السيرة الذاتية والقرار الأخير :

هدية نجيب محفوظ في العام الجديد

● ● وأخيرا وافق الكاتب الكبير نجيب محفوظ على اصدار (أصداء السيرة الذاتية) لينضم إلى سلسلة كتبه وأعماله الابداعية . صرح بذلك صديقه وناشر أعماله سعيد جودة السحار الذي اتفق معه أيضا على نشر مجموعة قصصية جديدة لم تطبع في كتاب من قبل اختار لها اسم (القرار الأخير) وكانت هذه المجموعة قد نشرت فرادى في الصحف والمجلات عامي ٨٧ و ١٩٨٨ .

د . عبد العزيز شرف

الأهرام ١٢/٢٢/١٩٩٥

دعاء

دعوت للثورة وأنا دون السابعة .
ذهبت ذات صباح إلى مدرستي الأولية محروسا
بالخادمة . سرت كمن يساق إلى سجن . يبدى كراسة
وفي عيني كآبة ، وفي قلبي حنين للفوضى ، والهواء
البارد يلسع ساقي شبه العاريتين تحت بنطلوني القصير .
وجدنا المدرسة مغلقة ، والفراش يقول بصوت جهير :
— بسبب المظاهرات لا ندواسة اليوم أيضا .
غمرتني موجة من الفرح طارت بي إلى شاطئ
السعادة .
ومن صميم قلبي دعوت الله أن تدوم الثورة إلى
الأبد !



ثاء

كانت أول زيارة للموت عندنا لدى وفاة جدتي .
 كان الموت ما زال جديدا ، لا عهد لي به عابرا في
 الطريق . وكنت أعلم بالمأثور من الكلام أنه حتم
 لا مفر منه ، أما عن شعوري الحقيقي فكان يراه بعيدا
 بعد السماء عن الأرض . هكذا انتزعني النجيب من
 طمأنيتي ، فأدركت أنه تسلل في غفلة منا إلى تلك
 الحجرة التي حكى لي أجمل الحكايات .

ورأيتني صغيرا كما رأيته عملاقا ، وترددت أنفاسه
 في جميع الحجرات ، فكل شخص تذكره وكل شخص
 تحدث عنه بما قسم .

وضقت بالمطاردة فلذت بحجرتي لأنعم بدقيقة من
 الوحدة والهدوء . وإذا بالباب يفتح وتدخل الجميلة
 ذات الضفيرة الطويلة السوداء وهمست بجنان :
 - لا تبقى وحدك .

واندلعت في باطني ثورة مباغته متسمة بالعنف
 متعطشة للجنون . وقبضت على يدها وجذبتها إلى

صدرى بكل ما يموج فيه من حزن وخوف .

دين قديم

فى صباى مرضت مرضا لازمنى بضعة أشهر . تغير الجو من حولى بصورة مذهلة وتغيرت المعاملة . ولت دنيا الإرهاب ، وتلقنتى أحضان الرعاية والحنان . أمى لا تفارقتى وأبى يمر على فى الذهاب والإياب ، وإخوتى يقبلون بالهدايا . لا زجر ولا تعيير بالسقوط فى الامتحانات .

ولما تماثلت للشفاء خفت أشد الخوف الرجوع إلى الجحيم . عند ذاك خلق بين جوانحى شخص جديد . صممت على الاحتفاظ بجو الحنان والكرامة . إذا كان الاجتهاد مفتاح السعادة فلا أجتهد مهما كلفنى ذلك من عناء . وجعلت أثب من نجاح إلى نجاح ، وأصبح الجميع أصدقائى وأحبائى .

هيهات أن يفوز مرض يجميل الذكر مثل مرضى .



الحركة القادمة

- قال برجاء حار :
- جئت لك لأنك ملاذى الأول والأخير .
 - فقال العجوز باسم :
 - هذا يعنى أنك تحمل رجاء جديدا .
 - تقرر نقلى من المحافظة فى الحركة القادمة .
 - ألم تقض مدتك القانونية بها ؟.. هذه هى تقاليد وظيفتك .
 - فقال بضراعة :
 - النقل الآن ضار بى وبأسرتى .
 - أخيرتك بطبيعة عملك منذ أول يوم .
 - الحق أن المحافظة أصبحت وطنا لنا ولا غنى عنه .
 - هذا قول زملائك السابقين واللاحقين ، وأنت تعلم أن ميعاد النقل لا يتقدم ولا يتأخر .
 - فقال بحسرة :
 - يا لها من تجربة قاسية !
 - لم لم تهين نفسك لها وأنت تعلم أنها مصير لا مفر منه؟

مفترق الطرق

عرفت فى بيتنا بأم البيه - حتى اليوم لم أعرف اسمها الحقيقى فهى عمتى أم البيه . تجلس فى حجرتها فوق الكنية متحجة مسبحة ، كلما طمعت فى مصروف إضافى تسللت إلى مجلسها . وعلى فترات متباعدة تقف سيارة أمام بيتنا الصغير فيغادرها البيه ، قصيرا وقورا مهيبا ، يلثم يد أمه ويتلقى دعاءها .

زيارته تنفخ فى البيت روحا من السرور والزهو ، وقد تحمل إلى علبة من الحلوى . رجل آخر يتردد على أم البيه كل يوم جمعة . صورة طبق الأصل من البيه غير أنه يرتدى عادة جلبابا ومركوبا وطاقيه وتلوح فى وجهه أمارات المسكنة . وتستقبله عمتى بترحاب وتجلسه إلى جانبها فى أعز مكان .

حيرنى أمره .

وحذرتنى أُمى من اللعب فى الحجرة فى أثناء وجوده . ولكنها لم تجد بدا فى النهاية من أن تهمس لى :
- إنه ابن عمتك !

تساءلت فى ذهول : أخو البيه ؟



أجابت بوضوح :

— نعم .. واحترمه كما تحترم اليه نفسه !
وأصبح يثير حب استطلاعى أكثر من اليه نفسه .

الأيام الحلوة

كنا أبناء شارع واحد تتراوح أعمارنا بين الثامنة
والعاشرة . وكان يتميز بقوة بدنية تفوق سنه ،
ويواظب على تقوية عضلاته برفع الأثقال . وكان فظا
غليظا شرسا مستعدا للعراك لأتفه الأسباب . لا يفوت
يوم بسلام ودون معركة ، ولم يسلم من ضرباته أحد
منا حتى بات شبح الكرب والعناء فى حياتنا . فلا
تسأل عن فرحتنا الكبرى حين علمنا بأن أسرته قررت
مغادرة الحى كله ، شعرنا حقيقة بأننا نبدأ حياة جديدة
من المودة والصفاء والسلام . ولم تعب عنا أخباره
تماما ، فقد احترف الرياضة وتفوق فيها وأحرز بطولات
عديدة حتى اضطر إلى الاعتزال لمرض قلبه ، فكدنا
ننساه فى غمار الشيخوخة والبعد .
و كنت جالسا بمقهى بالحسين عندما فوجئت به

مقبلا يحمل عمره الطويل وعجزه البادى .
ورأنى فعرفى فابتسم ، وجلس دون دعوة . وبدا عليه
التأثر فراح يحسب السنين العديدة التى فرقت بيننا .
ومضى يسأل عمن تذكر من الأهل والأصحاب ، ثم
تنهد وتساءل فى حنان :
— هل تذكر أيامنا الحلوة ؟!

النسيان

من هذا العجوز الذى يغادر بيته كل صباح ليمارس
رياضة المشى ما استطاع إليها سبيلا ؟
إنه الشيخ مدرس اللغة العربية الذى أحيل على
المعاش منذ أكثر من عشرين عاما .
كلما أدركه التعب جلس على الطوار أو السور
الحجرى لحديقة أى بيت ، مرتكزا على عضاه مجففا
عرقه بطرف جلبابه الفضفاض .
الحى يعرفه والناس يحبونه ، ولكن نادرا ما يحويه أحد
لضعف ذاكرته وحواسه . أما هو فقد نسى الأهل
والجيران والتلاميذ وقواعد النحو .



المطرب

قلبي مع الشاب الجميل . وقف وسط الحارة وراح
يغنى بصوت عذب :

الحلوة جاية .

وسرعان ما لاحت أشباح النساء وراء خصاص
النوافذ .

وقدحت أعين الرجال شررا .

ومضى الشاب هائلا تتبعه نداءات الحب والموت .

قبيل الفجر

تربعان فوق كنية واحدة . تسمران في مودة
وصفاء . الأرملة في السبعين وحماتها في الخامسة
والثمانين . نسيئا عهدا طويلا شجن بالغيرة والحقد
والكراهية . والراخل استطاع أن يحكم بين الناس
بالعدل ، ولكنه عجز عن إقامة العدل بين أمه وزوجه
ولا استطاع أن يتنحى . وذهب الرجل فاشتركت
المرأتان لأول مرة في شيء واحد وهو الحزن العميق
عليه .

وهدهدت الشيخوخة من الجموح ، وفتحت النوافذ
لنسمات الحكمة .

الحماة الآن تدعو للأرملة وذريتها من أعماق قلبها
بالصحة وطول العمر .

والأرملة تسأل الله أن يطيل عمر الأخرى حتى
لا تتركها للوحدة والوحشة .

السعادة

رجعت إلى الشارع القديم بعد انقطاع طويل لتشيع
جنازة .

لم يبق من صورته الذهبية أى أثر يذكر .
على جانبيه قامت عمارات شاهقة فى موضع
القيلات ، واكتظت بالسيارات والغبار وأمواج البشر
المتلاطمة .

تذكرت بكل إكبار طلعت بهية وروائح الياسمين .
وتذكرت الجميلة تلوح فى النافذة باعثة بشعاعها
على الساترين .

ترى أين يقع قبرها السعيد فى مدينة الراحلين ؟



ويوافيني الآن قول الصديق الحكيم : « ما الحب الأول إلا تدريب ينتفع به ذوو الحظ من الواصلين » .

الطرب

اعترض طريقى باسماء وهو يد يده . تصافحنا وأنا
أسأل نفسي عمن يكون ذلك العجوز . وانتحى بى
جانبا فوق طوار الطريق وقال :

— نسيتنى ؟!

فقلت فى استحياء :

— معذرة ، إنها ذاكرة عجوز !

— كنا جيرانا على عهد الدراسة الابتدائية ، وكنت
فى أوقات الفراغ أغنى لكم بصوت جميل ، وكنت
أنت تحب التواشيح ..

ولما يئس منى تماما مد يده مرة أخرى قائلا :

— لا يصح أن أعطلك أكثر من ذلك ..

قلت لنفسي : يا له من نسيان كالعدم . بل هو
العدم نفسه . ولكننى كنت ومازلت أحب سماع
التواشيح .

رسالة

وردة جافة مبعثرة الأوراق عثرت عليها وراء صف
من الكتب وأنا أعيد ترتيب مكتبتى .
ابتسمت . انخسرت غيابات الماضى السحيق عن نور
عابر .

وأفلت من قبضة الزمن حين عاش دقائق خمس .
وند عن الأوراق الجافة عبير كالهمس .
وتذكرت قول الصديق الحكيم : « قوة الذاكرة
تنجلي فى التذكر كما تنجلي فى النسيان » .

عتاب

همت على وجهى حاملا طعنة الغدر بين أضلعي .
وقال الصديق الحكيم : لست أول من كابد
الهجران .

فسألته : أليس للشيخوخة مقام ؟
فقال : غر من يعشق قصة معادة قديمة .



ووقفت تحت شجرة الكافور أرنو من بعيد إلى
الملهى .

وهى تجلس وسط الشرفة يشع منها نور الإغراء
المبين .

لا يدركها كبر ولا يمسه انحلال .
وتخطاني بنظرة لا مبالية فليس لقرارها تبديل ، بل
وسوف أرجع وحيدا كما بدأت .

التلقين

جلست فى السرادق أنتظر تشيع الجنازة .
خيمت فوقنا ذكريات ذلك العهد القديم
وجاء رجال ذلك العهد يسرون رجلا وراء رجل
كانت الأرض تزلزل لأى منهم إذا خطا .
اليوم هم شيوخ ضائعون لا يذكرهم أحد .
وجاء خلفاؤهم تنحنى الأرض تحت وطأة أقدامهم
تقول نظراتهم الثابتة إنهم ملكوا الأرض والزمن
أخيرا ، هلّ التعش فوق الأعناق فتخطى الجميع
وذهب .

الوظيفة المرموقة

أخيرا مثلت بين يدي مدير مكتبه . وصلت بفضل
اجتهاد مضمّن وشفاعة الوجهاء المكرمين .
ألقي نظرة أخيرة على التوصيات التي قدمتها ، ثم
قال :

— لشفعائك تقدير وأى تقدير ، ولكن الاختبار هنا
يتم بناء على الحق وحده .
فقلت برجاء :

— إني على أتم استعداد للاختبار .
— أرجو لك التوفيق .

فسألته بلهفة :

— متى ندعى للامتحان ؟

فتجاهل سؤالى وسألنى :

— ولماذا هذه الوظيفة بالذات على ما تتطلبه من جهد

خارق ؟

فقلت بإخلاص :

— إنه الحب ، ولا شئ سواه .

فابتسم ولم يعلق .



ورجعت وأنا أتذكر قول صديقي الحكيم : « من
ملك الحياة والإرادة فقد ملك كل شيء ، وأفقر حي
يملك الحياة والإرادة .

الصور المتحركة

هذه الصورة القديمة جامعة لأفراد أسرتي ..
وهذه جامعة لأصدقاء العهد القديم ..
نظرت إليهما طويلا حتى غرقت في الذكريات ..
جميع الوجوه مشرقة ومطمئنة وتنطق بالحياة .
ولا إشارة ولو خفيفة إلى ما يحبه الغيب ،
وها هم قد رحلوا جميعا فلم يبق منهم أحد .
فمن يستطيع أن يثبت أن السعادة كانت واقعا حيا ،
لا حلما ولا وهما .

المدل

ذهبت إلى شمام معروف بلا تردد . ما أجمل صراحته
حين قال لي :
- أنت صاحب حق ، ولكن خصمك أيضا صاحب
حق .

فقلت له :

— عرضت عليه أن نحتكم إلى شخص يكون موضع
ثقتنا معا .

— هيهات أن يوجد هذا الشخص في زماننا .
— لدى خطابات مسجلة ستعرف منها المحكمة
حسن نيتي .

— قد يطعن فيها بالتزوير .

— الحق أنى برىء مائة فى المائة .

— لا يوجد إنسان برىء مائة فى المائة .

— ليس الأمر بالمستحيل .

— ألم تهدده فى لحظة غضب بالقتل ؟

— هو نفسه لم يأخذ كلامى مأخذ الجد .

— بل قام باحتياطات كثيرة ، وزار الأضرحة ونذر النور .

فهمت ضاحكا :

— هذا هو الجنون .

— عليك أن تثبت أنه مجنون خاصة ، وأن محاميه

سيحاول من ناحيته أن يثبت جنونك .

فأغرقت فى الضحك حتى قال المحامى :



- لا يوجد ما يدعو إلى الضحك .
- اتهامى بالجنون مثير للضحك .
- بل إنه يدعو للأسى .
- لماذا يا سيدى ؟
- الجنون يدعو للأسى .
- طالما أنى عاقل فلا أهمية للاتهام .
- ولكن عدم الاهتمام قد يعنى الجنون نفسه .
- فسألته بذهول :
- هل يداخلك شك فى عقلى ؟
- بل إننى على يقين ، اختلافكما المزمع يدل على جنونكما معا .
- لكنك أبديت استعدادا طيبا للدفاع عنى ؟
- إنه واجبى !
- وتنهد المحامى من أعماقه وواصل :
- ولا تنس أننى مجنون مثلكما ..

من التاريخ

فى ذلك الوقت البعيد قليل إنه هاجر أو هرب . والحقيقة أنه كان يجلس على العشب على شاطئ النيل مشتملا بأشعة القمر . يناجى أحلامه فى حضرة الجمال الليل .

عند منتصف الليل سمع حركة خفيفة فى الصمت المحيط . ورأى رأس امرأة ينبثق من الماء أمام الموضع الذى يفترشه . وجد نفسه أمام جمال لم يشهد نه مثيلا من قبل . ترى أ تكون ناجية من سفينة غارقة ؟ لكنها كانت غاية فى العذوبة والوقار فداخله الخوف — وهم بالوقوف تأهباً للتراجع ، ولكنها قالت له بصوت ناعم :

— اتبعنى .

فسألها وهو يزداد خوفاً .

— إلى أين ؟

— إلى الماء لترى أحلامك بعينيك .

وبقوة سحرية زحف نحو الماء وعيناه لا تتحولان عن

وجهها .



الأشباح

عقب الفراغ من صلاة الفجر ، رحت أتحول فى
الشوارع الخالية ، جميل المشى فى الهدوء والنقاء بصحبة
نسائم الخريف . ولما بلغت مشارف الصحراء جلست
فوق الصخرة المعروفة بأَم الغلام .

وسرح بصرى فى متاهة الصحراء المسربلة بالظلمة
الرقيقة . وسرعان ما خيل إلى أن أشباحا تتحرك نحو
المدينة . قلت : لعلهم من رجال الأمن . ولكن مر أمامى
أولهم فتبينت فيه هيكلا عظيما يتطاير شرر من محجريه .
واجتاحنى الرعب فوق الصخرة . وتسلسلت
الأشباح واحدا فى إثر آخر .

تساءلت وأنا أرتجف عما يخبئه النهار لمدينتى
النائمة ..

قطار المفاجآت

فى عيد الربيع يحلو اللهو ويطيب . وقفنا جماعة من
التلاميذ فى بهو المحطة بالبنطلونات القصيرة . ويد كل

سلة من القش الملون مملوءة بما قسم من طعام . وكان
علينا أن نختار بين رحلتين وقطارين . قطار يذهب إلى
القناطر الخيرية ، وآخر يمضى إلى جهة مجهولة يسمى
بقطار المفاجآت .

قال أحدهنا :

— القناطر جميلة ومضمونة .

فقال آخر :

— المغامرة مع المجهول أمتع .

ولم نتفق على رأى واحد .

ذهبت كثرة إلى قطار القناطر ،

وقلة جرت وراء المجهول .

حمام السلطان

حلمت مرة أننى خارج من حمام السلطان . تعرضت
لى جارية ودعتنى إلى لقاء سيدتها . ومالت بى فى
الطريق إلى حجرتها لتهيئنى للقاء كما يملى عليها
واجبها . وألهانى التدريب عن غايتى حتى كدت
أنساها . ولما وجب الذهاب ، ذهبت إلى السيدة



الجميلة وأنا من الخجل فى نهاية . ووقفت بين يديها
منهزما وقد علانى الصدا .
هكذا تحول الحلم إلى كابوس .
وكان لا بد من معجزة لتشرق الشمس من جديد .

المقاب

رآه ماثلا أمامه كالقدر . غاب طويلا ولكن لم
ينحن له ظهر أو يرق بصر . بسرعة انقضاض الزلزال
جرى شريط الذكريات الدامية . وسحب وراءه صورة
أسرته البريئة التى عرفته مثالا للاجتهاد والرزق الحلال
جاهلة ما وراء ذلك .

— اتفقنا على أن نفرق إلى الأبد .

فقال له الزائر بهدوء :

— للضرورة أحكام وإننى مهدد بالإفلاس .

وقال لذاته : إن طوفان الابتزاز يبدأ بقطرة ،

— كنا شريكين فما يصيبنى يصيبك .

فقال الزائر :

— عند اليأس أقول : علىّ وعلى أعدائى يا رب !

أسرته هى ما يهمه ، حتى إذا كان الانتحار هو الحل .

المرح

نظرت إلى بعينين باهتتين ذابلتين . النظرة تشكو مر
الشكوى وتريد أن تبوح ولكن اللسان عاجز .
كنت أعودها والحجرة خالية .
الجلد متهرئ والعظام بارزة والأركان تقفح منها
رائحة الموت .
يا صاحبة المداعبات التى لا تنسى .
طفولتى عامرة بمداعباتك اللطيفة .
لم يكن يعيبك إلا الإغراق فى المرح .
أى نعم .. الإغراق فى المرح .





فرصة العمر

صادفتها تجلس تحت الشمسية ، وتراقب حفيدها
وهو يبنى من الرمال قصورا على شاطئ البحر الأبيض .
سلمنا بحرارة ، جلست إلى جانبها ، عجوزين
هادئين تحت مظلة الشيب .
وضحكت فجأة وقالت :
— لا معنى للحياة في مثل عمرنا ، فدعني أقص
عليك قصة قديمة .
وقصت قصتها وأنا أتابعها بذهول حتى انتهت .
وعند ذاك قلت :
— فرصة العمر أفلتت ، يا للخسارة !

رسالة لم تكتب

في عام واحد علمت بتعيين همام رئيسا لمحكمة
استئناف الإسكندرية ، كما قرأت خبر تنفيذ حكم
الإعدام في سيد الغضبان لقتله راقصة . كنا — أنا
وهمام والغضبان — أصدقاء طفولة ، وكان الغضبان



بؤرة الإثارة لجمال صوته ونوادره البديئة . وافترقنا قبل أن نبلغ التاسعة فمضى كل إلى سبيله . عرفت من بعض الأقارب بانخراط همام فى سلك الهيئة القضائية ، وتابعت أنباء الغضببان فى الصحف الفنية كبلطجى من بلطجية الملاحى الليلية .

والحق أن خبر الإعدام هزنى ، وطار بى على جناح التأمل إلى العهد القديم . وفكرت أن أكتب رسالة إلى همام أضمنها تأثرى وتأملاتى . وشرعت فى الكتابة ، ولكننى توقفت وفتر حماسى أن يكون قد نسى ذلك العهد وأهله أو أنه لم يعد يبالى بهذه العواطف .

الزيارة الأخيرة

لولا المعلم عبد الدائم لضاع كل وافد على المدينة القديمة . يستقبل الوافدين فى مقهى المعز ثم يفتح لكل مغلق الأبواب . وكان عبد الله أحد أولئك الوافدين . ما لبث أن ألحقه بوظيفة مساعد بواب فحمد الرجل ربه على الرزق والمأوى . وحثه على الرشد والتدبير حتى زوجه من بنت الحلال . وجعل عبد الله يزوره فى المقهى من حين لآخر اعترافا بفضله وإحسانه ، غير

أنه لما استغرقه العمل وتربية الأولاد ندرت زيارته حتى انقطعت . وبلا الرجل الحياة بملوها ومرها ، وتصير حتى وقف الأولاد على أقدامهم وانطلق كل فى سبيل . ومع تقدم السن شعر عبد الله بأنه آن له أن يستريح وينفض عن رأسه الهموم . وفى فراغه تذكر المعمر عبد الدائم فشعر بالخجل والندم ، وصمم على زيارته داعيا الله أن يجده متمعا بالصحة والعافية . وقصد مقهى المعز وهو يعد نفسه للاعتذار وطلب العفو . لاحظ من أول نظرة ما حل بالمقهى من تجديد وفرجة فى الأثاث والخدمة والزبائن ولم يعثر لصاحبه على أثر . ووضح له أن أحدا لم يسمع به . وظهر عجوز يسرح بالمساح والبخور ، وكان الوحيد الذى تذكره ، والوحيد الذى يعرف منزله بالإمام ، ولا يعرف عنه أكثر من ذلك . ولم تحمل تلك الصعوبات بين الرجل ورغبته فمضى من فوره إلى الإمام ، كان يقوده شعور قوى بالوفاء ، وبأنه ذاهب إلى غير رجعة ..



الرحمة

البيت قديم وكذلك الزوجان ..
هو فى الستين وهى فى السبعين
جمعها الحب منذ ثلاثين عاما خلت ، ثم هجرهما
مع بقية الآمال .
لولا ضيق ذات اليد لفر العصفور من القفص .
يعانى دائما من شدة نهمه للحياة ، وتعانى هى من
شدة الخوف ،
ويسلى أحلام يقظته بشراء أوراق اليانصيب لعل
وعسى .
كلما اشترى ورقه غمغم : « رحمتك يا رب » .
فيخفق قلب المرأة رعبا وتغمغم « رحمتك
يا رب » .

البحث

لدى المساء قصد المدفن الذى يجتمع فيه مع بعض
الأقران للسمر والمرح وتبادل أنات الشكوى . وسأله
أحدهم :

— كيف انتهى سعيك هذا اليوم ؟

فأجاب بفتور :

— كالأيام السابقة .

فقال آخر :

— إنك تضيع وقتك بين أوغاد ، وعندنا أقصر طريق
للرخاء .

فقال بامتعاض :

— وهو أقصر طريق إلى السخن أيضا !

فقال الآخر ساخرا :

— الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

سؤال وجواب

سأل العجوز السيدة :

— معذرة يا صديقة العمر ، لماذا تبذلين نفسك

للهموان ؟

فأجابت بوجوم :

— من حقلك على أن أصارحك بالحقيقة ، كنت أبيع
الحب بأرباح وفيرة ، فأمسيت أشتريه بخسائر فادحة ،
ولا حيلة لي مع هذه الدنيا الشريرة الفاتنة .



التحدى

فى غمار جدل سياسى سأل أحد النواب وزيرا :
— هل تستطيع أن تدلنى على شخص طاهر لم
يلوث ؟

فأجاب الوزير متحديا :
— إليك — على سبيل المثال لا الحصر — الأطفال
والمعتوهين والمجانين ،
فالدنيا ما زالت بخير ..

المليم

وجدت نفسى طفلا حائرا فى الطريق . فى يدي
مليم ، ولكنى نسيت تماما ما كلفتنى أمى بشرائه .
حاولت أن أتذكر ففشلت ، ولكن كان من المؤكد أن
ما خرجت لشرائه لا يساوى أكثر من مليم ..

دموع الضحك

قلت له :

— الحمد لله ، لقد أديت رسالتك كاملة ، وبلغت بأسرتك بر الأمان . وانتزعت من وحش الأيام أنيابه الضارية ، فآن لك أن تخلد إلى الراحة والسكينة في الأيام القليلة الباقية .

حدجنى بارتياح وسألنى :

— هل تذكر أيامنا الطاهرة في الزمان الأول ؟

قرأت هواجسه فقلت :

— ذاك زمان قد مضى وانقضى .

فقال بنبرة اعتراف :

— يا صديقي الوحيد ، في عز النصر والرخاء ، كثيرا

ما بكيت الكرامة الضائعة .

الحوار

رجع الأب إلى البيت فوجد الأبناء في انتظاره ،

أخرج حافظة نقوده متجهما وغمغم :

— الأب في زماننا شهيد .



فالتزموا الضمت
ثم تفرقوا تفرق الشهداء .

المتسول

إنه يسبح فى بحر الماضى فتغمره موجة مخضبة بلون قاتم
وصداها ينداح فى نغمة حزينة لا تتلاشى
عندما يكون المرء فى العشرين وجارته فوق الخمسين
وقد وهبته من الذكريات الحنان والأمومة .
وفى خلوة بريئة تهل خواطر من عالم الرغبات
المتوهجة

وتند عن لمعة العين حرارة النداء ،
يشكمه الحياء قليلا وشيء كالخوف .
يرافقه بعد ذلك الندم
ويتسول النسيان .

الوحدة

لرق المنظر البشع بذاكرتها يتزحزح . منظر كف
الضابط العمياء وهى تهوى على خد أبيها العليل .
وبقدر ما كانت تحب أباهما وتقده بقدر ما خاصمت

كل شيء ، نفسها والعالم من حولها . وتتقدم بها السن
وهي وحيدة ترمقها ثقوب الكون برثاء .

عيد الميلاد

ما أكثر ما يسير بلا هدف . وإذا التعب نال منه
توقف ، لكنه لا يكف عن مناجاة الأشياء الثابتة
والمتحركة .
في نهاية هذا العام يبلغ الثلاثين من عمره ..

سؤال بعد ثلاثين عاما

بعد انقطاع عشرين عاما عن حى الشباب دعتنى
مناسبة إلى عبوره . لولا ما جاش فى صدرى من
عواطف نائمة ما عرفته فى عمائره الجديدة وزحامه
الصاحب . وثبتت عيناي على بيت قديم بقى على
حاله فشعرت بابتسامة ترف على الروح والجسد . إنها
اليوم وحيدة فى الثمانين . وآخر لقاء جمع بيننا
بالمصادفة منذ ثلاثين عاما حين أخبرتنى بهجرة وحيدها
إلى الخارج بصفة نهائية . ومضيت ومطلتلى وقصدت



الباب بعد تردد وضغطت على الجرس . فتحت شرعة

الباب عن وجه امرأة غريبة فدارت ارتباكى بسؤال :

— ألا تقيم ست سامية هنا ؟

فأجابت بسرعة :

— نحن نقيم هنا منذ ثلاث سنوات !

تحولت عن موقفى فى حيرة . وذهبت إلى مشوارى

وأنا أتساءل : ترى أين هى ؟ هل تقيم فى حى

آخر ؟ ، هل لحقت بابنها فى الخارج ، هل رحلت عن

دنيانا دون أن نعلم رغم القربى ؟ . وهل يصلح ذلك

نهاية لذلك التاريخ الموحج بالعواطف والأحلام ! .

وجمعنى فى نفس العام مآتم مع الباقين من الأسرة

فسألت أحدهم :

— ماذا تعرف عن ست سامية ؟

فرفع حاجبيه بدهشة وقال :

— أعتقد أنها ما زالت تقيم فى البيت القديم !

وجه من الماضي

رأيت ست نفوسة فى المنام . ماذا جاء بك بعد
غياب سبعين عاما بل يزيد . كانت طلعتك بهيئة
وبشرك صافية وشعر كغزيرا . وكان بيتك يطل على
النيل ، وكنا نزورك كثيرا وكنت أعتبر أوقات زيارتك
من أسعد الأوقات ، ومن نافذة الحجر كنت أغوص
ببصرى فى الأمواج الهادئة فيسبح حتى الشاطئ البعيد .
لم يبق من الحلم إلا وجهك ، وتسأولى : ترى أما
زالت على قيد الحياة !

أما وقائع الحلم فقد تلاشت بعد استيقاظي مباشرة .

المطر

دفعنا المطر إلى مدخل بيت قديم . فى الخارج صوت
انهلال المطر وهزيم الرعد ، وفى الداخل لون المغيب .
وقفنا متقابلين فى المدخل الضيق ، وليس معنا إلا بئر
السلم وأفكارنا الخفية . قلت لنفسى : يا لها من امرأة !
وسرحت هى فى الجو البارد معتزة محتشمة .
قالت وكأنما تحدث نفسها :



— هذا المطر مقلب ما بعده مقلب .
 فقلت وأنا حائر بخواطري :
 — إنه رحمة للعالمين .

رجل الساعة

دائما هو قريب منى . لا يبرح بصري أو خيالى ،
 يريق على نظراته الهادئة القوية . من وجه محايد فلا
 يشاركنى حزنا أو فرحا . ومن حين لآخر ينظر فى
 ساعته موحيا إلى بأن أفعل مثله ، أضيق به أحيانا ولكن
 إن غاب ساعة ابتلانى الضياع ، جميع ما لا قيت فى
 حياتى من تعب أو راحة من صنعه . وهو الذى جعلنى
 أتوق إلى حياة لا يوجد بها ساعة تدق .

الساحرة

مرت بى فى خلوتى كالوردة الياضعة فوق الغصن
 النضير . وانهمرت ذكريات تلك الأيام الباهرة وذهلت
 لسرعة الزمن . وكنت شكوت إلى صديقى الحكيم
 بعض ما لقيت ، فعقب على شكواى قائلا :
 — هل تنكر حظك من دفء الدنيا ونشوتها ؟

فعددت الحسنات إقراراً منى بفضل الوهاب فقال :
- جميع تلك الحظوظ ثمرة لإعراضها .
وبعد صمت قصير سألتنى :
- ألا تذكر إثارة من إقبالها ؟
فقلت :
- نظرة رضا عابرة تحت النخلة !
- هل تذكر مذاقها ؟
- أطيب من جميع الحظوظ مجتمعة .
فقال بهدوء :
- لذلك أقول لك إنها سر الحياة ونورها .

شق الطريق

كنت أنتظر لصق جدار بالطريق الضيق المكتظ
بالناس والدكاكين . فى ذلك التاريخ كنت معذباً فى
مقام الحيرة تتجاذبنى رياح متضاربة . وجذبتنى قوة
خفية إلى ناحية ما فرأيت عجوزاً وقوراً يشع طيبة
وصفاء .

أقبل نحوى حتى صار على بعد شبر منى ، وهمس :
- إنها لا تساوى شيئاً ..



أيقنت أنه قرأ هواجسى وأنه يدعونى إلى قطع
الروابط .

ارتجفت جوارحى وخفق قلبى بشدة .
وتبدى لى الإغراء فى صورة حسناء لم أشهد لجمالها
مثيلا من قبل .

لكنى ترددت .
وفى تلك الآونة رجعت زوجتى حاملة قرطيس
العطارة جارة أبنائى الثلاثة .
وأفقت من غشيتى ، وحملت الأصغر بين يدى ،
وتقدمت أسرتى أشق لها طريقا وسط الزحام .

رجل يحجز مقعدا

بدأ الأوتوبيس مسيرته من الزيتون فى نفس اللحظة
التي انطلقت فيها سيارة رجل من مسكنه فى حلوان .
غيرت كل منهما سرعتها ، أسرعت وأبطأت ، وربما
توقفت دقيقة أو أكثر تبعا لما لاقته فى سيرها من
ظروف الطريق .
ولكنهما بلغا ميدان المحطة فى وقت واحد ، بل ووقع

بينهما صدام خفيف ، أتلّف مصباح الأوتوبيس و كشط
مقدم السيارة .

وكان رجل يمر فانحصر بين السيارتين ، وسقط فاقد
الحياة .

كان يعبر الميدان ليحجز مقعدا فى قطار الصعيد .

سر الرجل

كان يمر بمجالسنا وهو يصيح :

— إنها آتية لا ريب فيها .

ثم يمضى مهرولا فلا يبقى منه إلا منظر ثيابه المهلهلة
ونظرته الشاردة .

ووقعت الكارثة ..

قوم قالوا : إنه ولى من الأولياء .

وقوم قالوا : ما هو إلا عميل من العملاء ..

هدية

فى عزلة الشيخوخة وعجزها ينتشر التأمل مثل عبير
البخور .

وقال لصاحبه العاكف على العبادة وكأنه يعتذر :



— فى زحمة هموم أسرتى ومطالب الشئون العامة
ضاع عمرى ، فلم أجد وقتا للعبادة .
فى تلك الليلة زاره فى المنام من أهدى إليه وردة
بيضاء وهمس فى أذنه :
— هدية لا يستحقها إلا العابدون الصادقون !

القبر الذهبى

رأيت فى المنام قبرا ذهبيا قائما تحت أغصان شجرة
سامقة مغطاة بالبلابل الشاذية .
وعلى صدره نقشت بأحرف جميلة واضحة كلمات
تقول :
هنيئا لمن كانت نشأته فى بوتقة الهجران .

الرسالة

عثرت يوما على وردة مطروحة تحت قدمى . لم تخل
من إثارة رونق فالتقطتها .
وإذا بورقة مطوية مربوطة بخيط أبيض حول عودها
الأخضر . بسطتها بفضول فقرأت « تعال ، ستجدنى
كما تحب » .

سرحت فى ابتسامة وتساءلت : كيف أخطأت
الرسالة هدفها . لماذا ألقى بها فى التراب ؟
وهمت حيناً فى وادى الفروض والاحتمالات ،
ولكنى أثبتت على الدنيا التى لا ينضب فيها معين الحب .
ونسمت على نسائم من الماضى البعيد فخفق القلب
بقدر ما أتيح له .
وفجأة تجاوزت ترددى القديم .
وعزمت على أن أبدأ الإجراءات ليكون لى مدفن فى
هذه المدينة المترامية .

النداء

أحيانا يظهر لى بوجهه الجميل فيلقى إلى نظرة رقيقة
ويهمس :
« اترك كل شىء واتبعنى » .
قد يلقانى وأنا فى غاية الإحباط ، وقد يلقانى وأنا
فى نهاية السرور ، ودائما ينتزع من صدرى الطرب
والعصيان .
وكلانا لم يعرف اليأس بعد .



المنشود

فى غمار شيخوخة وعزلة وأفكار يقطر منها ماء
الورد .

ترددت أنفاس الوعد المنشود .
ودق الجرس على غير توقع وجاءت الجارة مستأذنة ،
واندمجت فيما أنا مندمج فيه حتى آمنت بأنها الوعد
المنشود .

الغوص فى الماء

شهد ذات ليلة خسوف القمر . وتلقى من تعاسته
المتوارية خلف الغلالة المظلمة كآبة قطعت ما بينه وبين
الأشياء . لم يعد يأنس لشيء واحتار الأطباء فيه .
ونصح بالهجرة إلى مكان ناء لتغيير المنظر والمخبر .
ذهب يائسا يتحول على شاطئ البحر . وعلى بعد رأى
شمسية تستكين فيها امرأة شبه عارية غاية فى الجمال
والسكينة . انجذب نحوها كأول شيء يلقاه فلا يبعث
فى نفسه الكآبة والوحشة ، وشعر بأنها ترحب به دون
كلمة أو حركة فاستخفه الطرب . وقامت متوجهة نحو

الماء فتجرد من ثيابه وتبعها . وخاضا في الماء معا دون
أن يلقيا على ما وراءهما نظرة واحدة .

التوبة

مرت أمامي الجميلة الفاتنة وهي تتأود وتتنهد ، فلم
ألقت إليها .

نعمت في ذلك الوقت الجاف بإرضاء كبرياء الزهد
والإعراض عن مغريات الدنيا .

وثبت إلى طبيعتي في ليلة قمرية ذات بهاء ،
وسعيت وراء الجميلة الفاتنة وأنا مشفق من العقاب ،
ولكنها تلقتني بابتسامة وقالت :
- لتهناً بمصيرك فإنني أقبل التوبة .

التسييح

في وضخ النهار والحجارة تموج بأهلها من النساء
والرجال والأطفال ، والدكاكين على الصنفين تستعد
لاستقبال الزبائن .
في وضخ النهار سقط رجل ضعيف ضحية لعملاق
جبار .



وشاهد الناس الجريمة . وتواروا في برج الخوف .
 لم يشهد منهم أحد ومضى القاتل آمنا .
 وشهد الدرويش الحادث ولكنه لم يُسأل للاعتقاد
 الراسخ في بلاهته .
 وغضب الأبله غضبا كدما (عضوضا) فعزم على
 الانتقام من الجميع ،
 كلما وافته فرصة قضى على رجل أو امرأة وهو
 يسبح لله .

النصيحة

كان لنا جار من المريدين . وكان يدعو شيخه كل
 ليلة خميس لإقامة الذكر والإنشاد .
 وكنت أقف مع الصبية المتجمعين وراء المدعوين
 المتربعين على الأبسطة .
 وكان الذكر يمتعنا والإنشاد يطربنا .
 ومرة سأل الشيخ سائل من المريدين :
 « نراك وجيها في منظرِكَ ، بادی الصحة والعافية ،
 تحب الأكل والشرب ، ولست كالشيوخ الزاهدين ؟

فقال الشيخ بصوت سمعه الجميع :
— نحن قوم نعمل لئلا نترق ولا نتسول ، نقبل على دنيا
الله ولا نعرض عنها ، قرأ أعيننا في العشق والسكر ،
وسياحتنا الليلية في التأمل والذكر .

ليلة القدر

زينا حجرة الاستقبال بالورود . وتسفل البحور من
نوافذ بيتنا إلى عرض الطريق . وأعدنا من أسباب
السرور ما يلذ السمع والبصر والذوق .
وأملنا كالأخريين أن ينزل الشيخ في ضيافتنا ويسهر
عندنا ليلة القدر . واستغرق والداي في التلاوة وجعلت
أذهب وأجىء بين النافذة والباب المفتوح .
وفجأة تعالت في جلال الليل زغرودة من بيت أحد
الجيران .

وتبادلنا نظرات الأسى في صمت .

وقال أبى متنهدا :

— لا يريد الحظ أن يتسم بعد .



همسة عند الفجر

فى مرحلة حاسمة من العمر عندما تسنم بى الحب
ذروة الحيرة والشوق همس فى أذنى صوت عند الفجر:
— هنيئا لك فقد حم الوداع
وأغمضت عيني من التأثير ، فرأيت جنازتى تسير وأنا
فى مقدمها أسير حاملا كأسا كبيرة مزعة برحيق
الحياة .

الهجر

لم أشعر بأنه مات حقا إلا فى مآثمه .
شغلت المقاعد بالمعزين وتتابع تلاوة القرآن
الكريم . وانهمك كل متجاورين فى حديث ، فذكرت
حوادث لا حصر لها . إلا الراحل فلم يذكره أحد .
حقا لقد غادرت الدنيا أيها العزيز ، كما أنها قد
غادرتك .

هيات

ما ضنت على بشيء جميل مما تملك ،
فنهلت من ينبوع الحسن حتى ارتويت .
ولكن البطر بالنعمة قد يرتدى قناع الضجر
ومن أمارات خييتى أنى فرحت بالفراق ،
وعلى مدى طريقى الطويل لم يفارقنى الندم
وحتى اليوم يرمقنى هيكلك العظمى ساخرا .





البلهاء

كانت خادمة بلهاء ويدعونها الشيخة ، وكانت الست وحيدة فى الحلقة السادسة . وكان البيت يضطرب أحيانا تحت وطأة الرغبة . وتسئل الاضطراب إلى روح الخادمة البلهاء فاستحوذت عليها الكآبة . وسألتها الست وكانت تعطف عليها :

— مالك يا شيخة ؟

فأجابت بتأفف :

— أنا ذاهبة ..

فانزعجت الست وتساءلت :

— وتتركينى وحدى يا شيخة ؟

فقالت بحدة :

— لست وحدك يا فاجرة .

الطاهر

رأت الشيخة رجلا حائرا وهى تسير فى السوق يجلبابها الأبيض وخمارها الأخضر فسألته :

— عم تبحث يا رجل ؟



فأجاب بصير نافذ :

— أبحث عن ماء طاهر .

فقلت بلهجة لم تخل من عتاب :

— لا يوجد ما هو أطهر من عرق المرأة .

الحياة

أجبرتني ظروف الحياة يوما لأكون قاطع طريق .

وبدأت أولى ممارساتي في ليلة مظلمة فانقضت على

عابر سبيل .

— وارتعب الرجل بشدة شارفت به الموت وهتف

برجاء حار :

— خذ جميع ما أملك حلالا لك ، ولكن لا تمس

حياتي بسوء .

ومنذ تلك اللحظة وأنا أحوم بروحي حول سر الحياة !

في الحجرة الواسعة

في المنام رأيتني في حجرة واسعة عالية السقف ،

خالية من الأثاث عدا مائدة مستديرة في الوسط حولها

كرسيان متقابلان . جلست على كرسي وجلست على

الآخر صديق حميم وأمام كل منا فتجان قهوة . وثمة
باب يفضى إلى حجرة أخرى مظلمة جدا لا أدرى شيئا
عما بداخلها .

وقال صديقى :

— علينا أن ننجز المهمة .

فقلت موافقا :

— لا بد من إنجازها .

وفجأة قام صديقى فمضى نحو الحجرة المظلمة
واختفى ، وتبين لى بعد ذهابه أن القهوة اختفت من
فوق المائدة فناديت عليه .

لم أسمع ردا ولكن ظهر شخص غريب فجلس مكانه
وقد لفت انتباهى بعباءته البيضاء . ورغم أننى لم أكن
أعرفه إلا أننى قلت لنفسى إن وجوده خير من عدمه ،
أما هو فقد وضع أمامه كأسا ، وكأسا أمامى ، وقال :
— لنشرب نخب الضوء والظلام .

رفعت الكأس لأشرب ، ولاحظت منى التفاتة إلى
داخلها فرأيت وجه صديقى الغائب يرنو إلى ،
فارتعشت يدى وقلت للجالس أمامى :
— لا بد من إنجاز المهمة .



اللحن

فى حلم ثان وجدتنى فى حجرة متوسطة يضيئها مصباح غازى يتدلى من سقفها . فى ركن منها جلس جماعة من الرجال والنساء على شلت متقابلة يتسامرون ويضحكون بأصوات مرتفعة . لم يكن فى الجدران باب ولا نافذة إلا فتحة صغيرة فى اتساع عين منظار ، مرتفعة بعض الشيء فلم أر منها إلا سماء تتوارى وراء المساء . شعرت برغبة شديدة فى العودة إلى أهلى ودارى . ولم أدر كيف يمكن أن يتيسر لى ذلك . وسألت السمار :

— أكرمكم الله ، كيف أستطيع الخروج من هنا ؟
فلم يلتفت إلى أحد ، وواصلوا السمر والضحك .
وغزت الوحشة أعماقى . عند ذاك لاح من خلال الفتحة وجه غير واضح المعالم وقال لى :
— إليك هذا اللحن ، إحفظه منى جيدا ، وترنم به عند الحاجة ، وستجد فيه الشفاء من كل هم وغم .

الفتنة

كنت أتمشى عند الباب الأخضر ، فصادفت درويشا
متتحيا جانبا بامرأة . كانت وسيطة العمر ، ريانة
الجسم فواحة الأنوثة ، محتشمة النظرة .

ولما اقتربت منهما سمعتها تقول :

— يا سيدنا ، إنى أرملة ، أعيش مع شقيقتى ،
مستورة والحمد لله ، ولكنى أخاف الفتنة .

فقال لها :

— أدى الفرائض .

فقالت بصدق :

— لا تفوتنى فريضة .

وأضافت :

— وأسمع تلاوة القرآن لدى كل فرصة .

فقال :

— لن يمسك الشيطان .

فقالت :

— ولكنى أخاف الفتنة .



المهركة

رجعت إلى الميدان بعد زيارة للمشهد الحسيني .
رأيت زحاما يحرق براقصة وزمار . الزمار يعزف ،
والراقصة تتأود لاعبة بالعصا ، والناس يصفقون ،
والوجوه تتألق بالسرور والنشوة . فكرت غاضبا كيف
أفرض الجمع . ولكن في لحظة نور رأيت في مرمى
الزمن الجميع يهرولون نحو القبر . كأنهم يتسابقون
حتى لم يبق منهم أحد .
عند ذاك وليتهم ظهري وذهبت .

الأضواء

استعدت الكاميرا في موقعها ، وضبطت الأضواء ،
وأشار المخرج ببدء التصوير .
تلاقى حبيبان ودار حوار . انتهى تصوير اللقطة .
همس الموزع للمنتج وهما يجلسان على مبعدة يسيرة
وراء الكاميرا :
— لن تصلح لأدوار الحب بعد اليوم ، قلبي معها ..
أشعلت المثلة سيجارة لتريح أعصابها من عناء
التمثيل .

ووقف المؤلف فى زاوية بعيدا عن الأضواء يصغى
ويتابع ، لا يبالى به أحد .

على مائدة الرحمن

عمرت مائدة الرحمن بالصائمين . ولما ترامى إليهم
الأذان تأهبوا وبسملوا ، وهتف رجل ذو شأن :

— طعامنا حرام على من بقلبه زيغ .

وندت عن رجل ضحكة عالية لفتت إليه الأنظار .

أمسك عن الضحك وقال :

— عندى غذاء أجمل فأصغوا إلى !

ولكنهم أقبلوا على الطعام وهم يسخرون من
الرجل .

ولما امتلأت البطون وثقلت الأجفان فغفوا إعفاءة
قصيرة . ورأوا فى نومهم عالما يفتن ويسحر . ولما
استيقظوا توجهوا نحو الرجل للضحك فلم يجدوا له أثرا .
وترك الغائب فى كل قلب لوعة ..



البلياردو

جلست فى ركن المقهى الذى تقوم فيه مائدة
البلياردو ،

وجاء رجل نشط وراح يلعب نفسه فيرمى الكرة
مرة ويرد فى الأخرى .
وقلت له بأدب :

— هل تسمح لى أن ألاعبك فهو أجلب للمتعة .
فقال دون أن ينظر إلى :

— بل المتعة أن ألعب وحدى وأن يتفرج الآخرون
ونظرت حولى فرأيت جميع الزبائن يغطون فى النوم .

اللولؤة

جاءنى شخص فى المنام ومد لى يده بعلبة من العاج
قائلا :

— تقبل الهدية .

ولما صحت وجدت العلبة على الوسادة .

فتحتها ذاهلا ، فوجدت لؤلؤة فى حجم البندقة .

بين الحين والحين أعرضها على صديق أو خبير

وأسأله :

– ما رأيك فى هذه اللؤلؤة الفريدة ؟

فيهز الرجل رأسه ويقول ضاحكا :

– أى لؤلؤة .. العلبة فارغة ..

وأتعجب من إنكار الواقع الماثل لعينى .

ولم أجد حتى الساعة من يصدقنى .

ولكن اليأس لم يعرف سبيله إلى قلبى .

المطادفة

تحت التمثال تقابلنا مصادفة .

توقفت عن السير ، إنه يتسم ، وأنا أرتبك

صافحته بالإجلال الذى يستحقه فسألنى :

– كيف الحال ؟

فأجبت بأدب وحياء :

– الحمد لله ، فضلك لا ينسى ..

فقال بصوت لم يخل من عتاب رقيق :

– حسن أن تعتمد على نفسك. ولكن خيل إلى أنك

نسيتنى !



فقلت بحياء :

— لا أحب أن أثقل عليك ولكن لا غنى عنك بحال .
وافترقنا وقد أثار شجونى . تذكرت عهدى الطويل
معه عندما كان كل شىء فى حياتى ، كما تذكرت
فضله وأيامه . تذكرت أيضا أطواره الأخرى مثل
إعراضه وجفائه ولا مبالاته دون تفسير يطمئن إليه
القلب .

رغم كل شىء اعتبرت اللقاء مصادفة سعيدة .

الحنين

كنت ألقاه فى الخلاء وحيدا يحاور الناي ويعزف
لجلال الكون .

قلت له يوما :

— ما أجدر أن يسمع الناس الحانك .

فقال بامتغاض :

— إنهم منهمكون فى الشجار والبكاء !

فقلت مشجعا :

— لكل امرئ ساعة يحن فيها إلى الخلاء .

الطامة

لم ترفض فى حياتها طلبا أو تتجاهل إشارة ،
و كانت تلبى نداء الشوق دون مبالاة بالثمن .
وأندرها منذر بسوء العاقبة
ولكنها كانت شديدة الإيمان بالغفور الرحيم .

ساعة الحساب

جلس يتناول طعامه فى المطعم الصغير بهدوء وشهية
ذو مظهر مقبول ووجه مرهق .
ولما حدث وقت الحساب قال لصاحب المطعم :
- لا تؤاخذنى ليس فى جيبى مليم واحد ، وكنت
جائعا لحد الموت .
بهت الرجل ولم يدر ماذا يصنع
وكانه حرص على أن تبقى الواقعة سرا لا يدرى به
أحد .



الغفلة

كالعصافير يمرحون فى كنف الوالدين . البيت صغير
والرزق محدود ، ولكنهم لم يتصورا نعيما يفوق النعيم
الذى ينعمون به . وتمادى يوم حار من أيام الصيف
بأنفاسه الحملة بالرطوبة فهتفت عصفورة :

— أف .. متى يحىء الخريف ؟

وغمغم وهو يراقبهم من بعيد :

— لماذا تفرطون فى الأيام المتاحة الطيبة ؟

دعابة الذاكرة

رأيت شخصا هائلا ذا بطن تسع المحيط ، وفم يلع
الفيل ، فسألته فى ذهول :

— من أنت يا سيدى ؟

فأجاب باستغراب :

— أنا النسيان ، فكيف نسيته ؟

ليلي

فى أيام النضال والأفكار والشمس المشرقة تألقت
ليلي فى هالة من الجمال والإغراء .
قال أناس : إنها رائدة متحررة .
وقال أناس : ما هى إلا داعرة .
ولما غربت الشمس وتوارى النضال والأفكار فى
الظل هاجر من هاجر إلى دنيا الله الواسعة .
وبعد سنين رجعوا ، وكل يتأبط جرة من الذهب
وحمولة من سوء السمعة .
وضحكت ليلي طويلا وتساءلت ساخرة :
- ترى ما قولكم اليوم عن الداعرة ؟





البلاغة

قال الأستاذ :

— البلاغة سحر .

فأمنّا على قوله ورحنا نستبق في ضرب الأمثال .
ثم سرح بى الخيال إلى ماض بعيد يهيم فى
السداجة .

تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها فى ذاتها مثل
أنت .. فيم تفكر .. طيب .. يا لك من ماكر ..
ولكن لسحرها الغريب الغامض جن أناس .. وثل
آخرون بسعادة لا توصف ..

الطرب

يا له من زمن ، زمن الطرب .
ترسل الحناجر الذهبية أنغامها فتننتشر النشوة كالشذا
الطيب النفاذ .
وتتخلق فى حالة الطرب امرأة جميلة تعشقها القلوب
البیضاء . ولكنها لا تغتر لها على أثر فى غير دنيا الطرب ..
لقد اختارت قلب الطرب مقاما لها لا تبرحه .



على الشاطئ

وجدت نفسي فوق شريط يفصل بين البحر
والصحراء . شعرت بوحشة قاربت الخوف . وفي
لحظة عثر بصرى الحائر على امرأة تقف غير بعيدة وغير
قريبة . لم تتضح لي معالمها وقسماتها ولكن داخلنا أمل
بأننى سأجد عندها بعض أسباب القربى أو المعرفة .
ومضيت نحوها ولكن المسافة بينى وبينها لم تقصر ولم
تبشر بالبلوغ . ناديتها مستخدما العديد من الأسماء
والعديد من الأوصاف فلم تتوقف ولم تلتفت .
وأقبل المساء وأخذت الكائنات تتلاشى ، ولكننى لم
أكف عن التطلع أو السير أو النداء .

سر النشوة

حلمت بأننى صحت من نوم ثقيل على أنفاس
رقيقة لامرأة آية فى الجمال ، رنت إلى بنظرة عذبة
وهمست فى أذنى :
- إن الذى أودع فى سر النشوة المبدعة قادر على
كل شئ فلا تياس أبدا .

الانبهار

ذاع عنه أنه عالم بكل شيء . وقصدته الجموع في ركن الطريق الذى يجلس على أريكة فيه . وقال وسيط خير :
- لا وقت للأسئلة السهلة ، هاتوا ما لديكم من أسئلة مستعصية ..

وانهالت عليه الأسئلة المستعصية حقا وساد صمت عميق ليسمع كل الجواب الذى يعنيه .
لم أر حركة تدب فى شفثيه ولم أسمع صوتا يند عن فيه .
ورجعت من عنده وسط جموع قد انبهرت بما سمعت لحد الجنون ..

الذكرى

فى يوم السوق بشارتنا اختزقت الجموع امرأة عارية تتهادى . تسير فى ترفع وتذيب مفاتها الصنحور .
كف الناس عن البيع والشراء ووقفوا ينظرون بأعين ذاهلة ، كذلك مضت حتى غيبتها المنعطف الأخير ،
وأفاق الناس من دھولهم فركبتهم حبال جنون ،



واندفعوا نحو المنعطف . فتشوا في كل مكان ولكنهم لم
يعثروا لها على أثر .
كلما خطرت ذكراها على القلوب أكلتها الحسرة ..

الندم

حملت إلى أمواج الحياة المتضاربة امرأة ما أن رأيتها
حتى جاش الصدر بذكريات الصبا . ولما ذابت حيرة
اللقاء في حرارة الذكريات سألتها :

— هل تتذكرين ؟

فابتسمت ابتسامة خفيفة تغنى عن الجواب .

فقلت متهورا :

— التذكر يجب أن يسبق الندم !

فسألتني :

— كيف تجده ؟

فقلت بحرارة :

— ذو ألم كالحنين ..

فضحكت ضحكة خافتة ثم همست :

— هو كذلك ، والله غفور رحيم !

المعركة

فى عهد الصبا والصبر القليل نشبت خصومة بينى
وبين صديق . اكتسح طوفان الغضب المودة فدعائى
متحديا إلى معركة فى الحلاء حيث لا يوجد من يخلص
بيننا . ذهبنا متحفزين . وسرعان ما اشتبكنا فى معركة
ضارية حتى سقطنا من الإعياء وجراحنا تتurf بغزارة .
وكان لا بد أن نرجع إلى المدينة قبل هبوط الظلام .
ولم يتيسر لنا ذلك دون تعاون متبادل .
لزم أن نتعاون لتدليك الكدمات ، ولزم أن نتعاون
على السير .

وفى أثناء الخطو المتعثر صفت القلوب ولعبت
البسمات فوق الشفاه المتورمة .
ثم لاح الغفران فى الأفق .

حوار الأصيل

إنه جارنا فنعم الجيرة ونعم الجار .
عند الأصيل يتربع على أريكة أمام الباب متلففا
بعباءته .



بذلك يتم للميدان جلاله وللأشجار جمالها ، وعندما
تودع السماء آخر حداة يرجع أبناؤه الثلاثة من
أعمالهم .

وعشية السفر إلى الحج نظر في وجوههم وسألهم :

— ماذا تقولون بعد هذا الذى كان ؟

فأجاب الأكبر :

— لا أمل بغير القانون .

وأجاب الأوسط :

— لا حياة بغير الحب .

وأجاب الأصغر :

— العدل أساس القانون والحب .

فابتسم الأب وقال :

— لا بد من شيء من الفوضى كي يفيق الغافل من

غفلته .

فتبادل الإخوة النظر مليا ، ثم قالوا فى نفس واحد :

— الحق دائما معك !

الرحلة

بقضاء لا راد له حملنى الإذعان إلى أرض الغربه
وعلمت أن الواقعة آتية لا ريب فيها ، غدا أو بعد
غد

انتظر قليلا ولا تتعجل المجهول .
وقال الطيبون : لا تخف فقد سبقناك فى نفس
الطريق .

تبسط أمامى حديقه مترعة بالحسن ، وتذهب
الفاتنات وتجىء ،

ودعيت للغناء ، ولكنى شغلت بالخواطر والهواجس .
وانترعت حواسى لاجتياز الغابة الدامية
لم يبق لى منها إلا ذكريات أشباح وأصدقاء كوايبس
خائفة ، وأثر باق لمعركة طاحنة

وقالوا : آن لك التجوال فى رياض الشمال ، ولكن
قلبى نازعنى إلى الملعب بين السبيل والتكية
وصلت وأنا ألث .

الوجه والإهاب والنظر كل شىء تغير



وتلقاني الأحبة ، ومن حولهم ترامى الجليل بهوائه
وضحيجه
وقال لى قلبى : استقر فى ظله ، وليحفظه الصمد .

الشذا

نظر إلى الوراء طويلا فلم يبق منه إلا ما يبقى من
الورد بعد جفافه . اللهو وصفاء الأخلام ودفء السيدة
الحنون

هى دائما كبيرة ولكن لا تجوز عليها الشيخوخة
ودائما تلهج بالدعاء .

وتعرض بعد الظلام ناشرا لواء الفراق
وتحرك طايور الوداع وتأوه العريس الذى لم يتم
زفافه ،

وتلاشت وجوه الحب وعبق الجوز بالشذا الطيب .

الثابت والمتغير

ذهبوا إلى السوق ، وبقيت فى البيت وحدى .
وجاءت صغيرة ذات ضفيرتين تتضوع منها رائحة

القرنفل ، تحمل طبقا فارغا ، مرسله من قبل أمها بمهمة خاصة .

ولما لم تجد أمي همت بالذهاب ، ولكنى دعوتها للانتظار ، فانتظرت

وذاب المتسوقون فى السوق ، وزقزقت العصفير طويلا ، يظهرها الصيف ويخفيها الشتاء وقلت لها لأملأ الزمن :

– تخفى من ثيابك فهو أطيب لك .

فقلت بحياء :

– عندما يحين الموسم .

وهكذا جمعنا الزمان والمكان والشوق .

أما الزمان والمكان فلا ثبات لهما ، وأما الشوق فلا يورث إلا الحزن .

المهمة

قالت لى أمي :

– اذهب إلى جارتنا وقل لها هاتى الأمانة .

فسألتها وأنا أهم بالذهاب :



— وما الأمانة ؟

فقلت وهى تدارى ابتسامة :

— لا تسأل عما لا يعينك ولكن احفظها عندما

تسلمها كأنما هى روحك .

وذهبت إلى جارتنا ، وبلغتها الرسالة فحركت

أعضاءها لتطرد الكسل ، وقالت :

— يجب أن ترى بيتى قبل ذلك .

وأمرتني أن أتبعها ومضت أمامي وهى تتبختر .

وانقضى الوقت مثل نهر جار

وكانت أمي ترد على خاطري أحيانا ، فأثخيلها وهى

تنتظر .

فى وصف العاصفة

زلت قدمي فى ليلة عاصفة ممطرة فأويت إلى دكان

عطار . وسألت العطار :

— متى تهدأ العاصفة ؟

فأجاب بهدوء :

— ربما بعد دقيقة واحدة وربما استمرت حتى مساء

الغد .

ولمحت على ضوء مصباح الدكان شخصا يهرول فى
الخارج ، ناشرا فوق رأسه مظلة سوداء . شعرت بأننى
لا أراه لأول مرة رغم أننى لا أعرفه . والحق أننى لم
أرتح إليه . وقال له العطار :

– لا لوم على من يؤثر السلامة فى هذه الليلة .

فقال الرجل وهو يمضى دون توقف :

– أنا لا أخلف الميعاد .

وجاءت سيدة جميلة لتلوذ بالدكان ، فتسبنا الرجل
ومظلته .

– الظاهر أن المرأة رأت أن تنتهز الفرصة لتتسوق

فسألت العطار :

– هل عندك دواء للوساوس والأرق ؟

فأشار الرجل إلى برطمان وقال :

– ليس فى الدنيا ما هو أجمل من الصحة وخلو

البال .



المخير

كنت أتأهب للنوم عندما طرق الباب طارق .
فتحت الشراعة فرأيت شبهاً يكاد يسد الفراغ أمام
عيني وقال :

— مخير من القسم .

ومد لي يده ببلاغ يأمرني بالحضور مع المخير لأمر
هام .

أصبح من المألوف في حيننا أن يذهب هذا المخير إلى
أى ساكن لاستدعائه . يذهب فى أى وقت ودون
مراعاة لأى اعتبار ، ولا مناص من التنفيذ ولا مفر .
ولم أجد جدوى فى المناقشة . فرجعت إلى غرفة
نومي لارتداء ملابسى .

سرت فى إثره دون أن نتبادل كلمة واحدة .
ولمحت فى النوافذ أشباح الناس يتابعوننا ويتهامسون .
إنى أعرف ما يتهامسون به ، فقد طالما فعلت ذلك
وأنا أتابع السابقين .

الريح تفعل ما تشاء

قد ضجرت الساعة من دقة عقاربى فى الزمان
الأول .

وعقدت حبال العزيمة حول ذراع الأمان ونمت .
ولكن حملتنى ريح الغربه فوق السحاب صادعة بأمر
المجهول .

لم يكن فى نيتى ما أفعل ولا فعلت ما كنت نويت .
وأيقظنى رفيقى الرقيق من غفوتى قائلاً : « غداً
نسفك الدماء »

فقلت مشهدا الكون على استسلامى المطلق « لتكن
مشيئة الله » .

المرشد والبائنة

من أول يوم اكتشفت أن عملى فى المنطقة يُحتم على
التجوال المستمر فى أنحائها . سألت عن مرشد طريق
فدلونى على رجل يقيم بالدرب الأحمر ، تبين لى أنه
أعمى ، ولكن أهل الحل والعقد أكدوا لى صدق فراسته



وعمق خبرته ، وحفظه زوايا الحى عن ظهر قلب .
 وتأبطت ذراعه فسار بى بقدمين ثابتتين ، وسرعان
 ما وثقت به وأنست إليه .
 كان يمكن أن أبقى معه وحده حتى نهاية العمر ،
 لولا أن صادفتنا ذات يوم بائعة خبز ذات حسن ،
 فودعت مرشدى وسرت معها . وتجمعتى الطريق
 أحيانا بمرشدى القديم ، فأحبيه بوجد ، ولكنه يرد على
 بفتور ويمضى كل فى سبيله .
 وربما خلا لنا فى بعض أوقات الفراغ أن نذكره فى
 سياق الدعابة والعبث ، ولكن هيهات أن يتكرر عاقل
 فضله .

سلام نفسك

خطر على بالى فتفجر قلبى بالشوق . ذهبت إلى
 مسكنه فى آخر مساكن الضاحية المحفوفة بالحقول .
 رحب بى بود قائلا :
 - مضى عمر على آخر زيارة ، ولكنك جئت فى
 وقت مناسب .

قال ذلك وهو يشير إلى خوان قصير ، وضعت عليه
صينية بالعشاء المكون من سمك مشوى وزيتون مخلل
وخبز ساخن .

ودعاني للعشاء فجلست .
وما كدنا نبسمل حتى ترامى إلينا صوت من مكبر
يصيح « سلم نفسك » .
وثب إلى مفتاح الكهرياء فأغلقه ، فساد الظلام .
وسرعان ما انهال علينا الرصاص من جميع الجهات
كالطرر .
وقلت لنفسي وأنا أرتعد من الرعب « سعيد من
يستطيع أن يسلم نفسه » .

بعد الخروج من السجن

غص البهو بطلاب الحاجات
جلسنا نتبادل النظر في قلق ، ونمد البصر إلى الباب
العالي المفضى إلى الداخل المغطى بجناحي ستارة عملاقة
خضراء .
متى يتسم الحظ ويحيى دورى ؟ .. متى أدعى إلى



المقابلة فأعرض حاجتي وأتلقى الرجاء ؟ الباب مفتوح
لا يصد قاصدا ، ولكن لا يفوز باللقاء إلا أصحاب
الحظوظ .
على ذاك تمضى الأيام ، فأذهب بصدر منشراح
بالأمل ثم أعود كاسيف البال .
وخطر لى خاطر : لماذا لا أختفى فى مكان فى
الحديقة حتى إذا انفض السامر وخرج الرجل لرحلته
المسائية رميت بنفسى تحت قدميه .
لكن الخدم انتبهوا لتسللى ، وساقونى إلى القسم ،
ومن القسم إلى السجن ، فألقيت فى ظلماته .
عبثا حاولت تبرئة ساحتى
كيف أذهب طامعا فى وظيفة شريفة ، فينتهى بى
المال إلى السجن ؟
وانتهى إلينا التهامس بأن الرجل الجليل سيزور
السجن ، ويتفقد حاله ، ويستمع إلى شكاوى المظلومين .
عجبت أن تيسر لى فى السجن ما تعذر فى الحياة .
وهذه حاجتى إلى عطفه تشد وتتضاعف
وأحيت رأسى بين يديه وقصصت قصتى

لم يبد عليه أنه صدق ولم يبد عليه أنه كذب
قلت بضراعة :
- كل ما أتمنى أن يسمح لى باللقاء بعد الخروج من
السجن .

فقال بصوت هادئ وهو يهم بالسير :
- بعد الخروج من السجن !

النهاية

فى دوامة الحياة المتدفقة جمعنا مكان عام فى أحد
المواسم .

من تلك العجوز التى ترنو بنظرة باسمه ؟
لعل الدنيا استقبلتنا فى زمن متقارب .
واتسعت ابتسامتها فابتسمت رادا التحية بمثلها .
سألتنى :

- ألم تتذكر ؟

فازدادت ابتسامتى اتساعا
قالت بجرأة لا تتأتى إلا للعجائز :
- كنت أول تجربة لى وأنت تلميذ ..



وساد الصمت لحظة ثم قالت :
— لم يكن ينقصنا إلا خطوة !
وتساءلت مذهولا : أين ضاعت تلك الحياة الجميلة !

حديث من بعيد

فى حارتنا بيت مسكون لا يقربه أحد ، فهو مغلق
الباب والنوافذ ، مستسلم لعوامل البلى .
أمرّ به فلا أصدق عينى وأقول لنفسى : ما هى إلا
أسطورة من أساطير الأولين .
وفاجأنى المطر يوما وأنا أمام بابه ، وأسخر منه
كعادتى ، وإذا بصوت يتهادى إلى هادئا :
— إن كنت فى شك ، بت ليلة فى البيت يأتك
البرهان بلا وسيط .

ركبني الرعب وانعقد لسانى ،
وتذكرت ما قرأت عن عالم الأرواح فقال الصوت :
— كن مع العقل وإلا تعرضت لتجربتنا القاسية .
واشتد المطر ، فسكت الصوت كأنما قد ذاب فيه .

الدرس

كنت منطلقا مهرولا لأشهد حلقة الذكر . مررت
في طريقى بعجوز رث الملبس تعيس المنظر وهو يكي .
صرفت نفسى عن الانشغال به أن يفوت علىّ قصدى .
ولما احتل الشيخ مكانه وسط حلقة الذكر نظر فيما
حوله حتى وقع بصره علىّ فأوماً إلىّ لأقترّب منه .
ومال علىّ أذنى هامسا : يا بني لا تترك هذا

— أهملت العجوز الباكي فأضعت فرصة للخير لن
تحظى بمثلها باستماعك إلى درسى اليوم .

يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .
يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .

يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .
يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .

يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .
يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .

يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .
يا بني لا تترك هذا . يا بني لا تترك هذا .





فيلسوف صغير جدا

يطاردنى الشعور بالشيخوخة رغم إرادتى وبغير دعوة . لا أدري كيف أتناسى دنو النهاية وهيمنة الوداع . تحية للعمر الطويل الذى أمضيته فى الأمان والغبطة . تحية لمتعة الحياة فى بحر الحنان والنمو والمعرفة .

الآن يؤذن الصوت الأبدى بالرحيل . ودع دنياك الجميلة واذهب إلى الجهل . وما الجهل يا قلبى إلا الفناء . دع عنك ترهات الانتقال إلى حياة أخرى . كيف ولماذا وأى حكمة تبرر وجودها ؟ أما المعقول حقا فهو ما يحزن له قلبى . الوداع أيتها الحياة التى تلقيت منها كل معنى ثم انقضت مخلقة تاريخا خاليا من أى معنى .

(من خواطر جنين فى نهاية شهرة التاسع)



أهل الحكاية

الست فى الشرفة ترنو إلى أسفل من وراء الخصاص
بعينين ملؤهما اليقظة والحنان . الصبى يلعب أسفل
البيت ويغنى . وبين الحين والحين يمضى إلى حارة من
الحارات التى تصب فى جوانب الميدان آتية من أنحاء
المدينة المترامية . وعند المغيب ينتزع الصبى نفسه من
دنيا اللعب والسياحة ويدخل البيت .
ولم يدم الحال على ذلك طويلا .
خلت الشرفة من الحنان .
وأدخل الصبى داخل حارة فلم يرجع .

المتنبه

دعينا إلى سهرة فى بيت صديق . وجلسنا حوله فى
الحديقة الصغيرة يسكرنا شذا زهر البرتقال .
وحدثنا الصديق عن مشروع قيم لعلنا نسهم فيه .
ولمحت على ضوء عود ثقاب زميلا غائبا عن وجودنا فى
دنيا أحلامه ، فلمسته بكوعى ، ولكنه لم يلتفت نحوى .

وفى طريق العودة قلت له :

- يقينا أنك لم تسمع كلمة مما قال صاحبنا .

فقال ببساطة مثيرة :

- قلبي حدثنى بأنه سيرحل عن دنيانا قبل طلوع الشمس !

العجب أن صاحب المشروع رحل حقا قبل شروق الشمس .

أما الأعجب فهو أن الصديق الآخر الذى تنبأ رحل عند الفجر ،

ومن يومها كلما جاء الزمان بساعة طيبة ، أبيت أن أغيب عنها بشيء مضى أو بشيء آت .

شكوى القلب

ثقل قلبي بعد أن أعرض عنى الزمن ، وراح الطيب يبحث عن سر علته فى صورته التى طبعتها الأشعة . تأملته بفضول حتى خيل إلى أنه يرانى كما أراه وأنا نتبادل النظر . وجالت أيضا نظرة عتاب فى عينيه ، فقلت له كالمعتذر :



— طالما حملتك ما لا يطاق من تباريح الهوى .

فإذا به يقول :

— والله ما أسقمني إلا الشفاء :

ملخص التاريخ

أحببت أول ما أحببت وأنا طفل ، ولهوت بزمنى
حتى لاح الموت فى الأفق . وفى مطلع الشباب عرفت
الحب الخالد الذى يخلفه الحبيب الفانى . وغرقت فى
خضم الحياة ، ورحل الحبيب ، واحتزقت الذكريات
تحت شمس الظهيرة . وأرشدنى مرشد فى أعماقى إلى
الطريق الذهبى المفروش بالمعاناة ، والمفضى إلى
الأهداف المراوغة . فطورا يلوح السيد الكامل . وطورا
يتراءى الحبيب الراحل .

وتبين لى أن بينى وبين الموت عتابا ، ولكننى مقضى
على بالأمل .

رجل الأقدار

لم أنس ذلك الرجل . كان معلمى فترة طويلة من العمر . اشتهر فى حياته بتلاحق الحزن ، والتعاسة الزوجية ، ورقة الحال . ولكنه اشتهر أيضا بالصبر والقدرة على معاشة الألم والانغماس فى الكتابة . ولما تقدم به العمر انضاف إلى متاعبه تصلب الشرايين . وأخذت ذاكرته تضعف وتتلاشى . ومضى ينسى فيما ينسى خسائره وجميع ما ناله من عنت الحياة ، فخفف عبئه وهو لا يدري . وطعن فى المرض ، فنسى زوجته تماما وأنكرها ، وأصبح يتساءل عن سر وجودها فى بيته . وذهب عنه الكثير من كدره . وبلغ به المرض مداه فنسى شخصه ولم يعد يعرف من هو ، وبذلك تسنم قمة الراحة ، هكذا أفلت من قبضة الحياة القاسية حتى غبطه من كان يرثى إليه .



الصفحة

إعجابى بك يا سيدتى يفوق أى حساب . إنك
تنورين المكان بصفاء شيخوختك . تلقين الإساءة
بالصمت وتغفرين للمسيئين إليك . فلم أعرف أمّا
قبلك بهذا الوفاء .

قلت لها يوما :

— إنك ضحية القسوة والأنانية ..

فقلت باسمه :

— بل إني ضحية الحب .

ولما قرأت الدهشة فى وجهى قالت :

— أنت تتوهم أن سلوكهم معى صادر من قسوة
وأنانية ، الحقيقة أنه صادر من حبه الشديد لأبنائهم ،
وهكذا كنت أحبههم ، ومن أجل ذلك قد صفح قلبى
عنهم .

الضحكة

وقفت فوق فوهة القبر ألقى نظرة الوداع على جثة
العزير التي يعدونها للرقاد الأخير . ترامت إلى ضحكته
المجلجلة قادمة من الماضي الجميل ، فجلت بنظري فيما
حولى ، ولكنى لم أر إلا وجوه المشيعين المتجهمة .
وعند الرجوع من طريق المقابر همس صديق فى
أذنى :

ما رأيك فى ساعة راحة بالمقهى !
وسرت الدعوة فى أعصابى برعشة ارتياح .
ونشطت قدماى إلى حيث المجلس ، وقدح الماء المثلج
والقهوة المحوجة ، ومناجاة اللاحقين عن السابقين .

الاختيار

ذهبت إلى السوق ، حاملا ما خف وزنه وغلا ثمنه ،
واتخذت موضعى منتظرا رزقى . وهدأ الضجيج فجأة
واشرأبت الأعناق نحو الوسط . نظرت فرايت ست



الحسن تنهادى فى خطى ملكة على أحسن تقويم .
سلبت عقلى وإرادتى قبل أن تتم خطوة ، فنهضت
لأتبعها مخلفا ورائى العقل والإرادة وأسباب رزقى .
حتى دخلت بيتا صغيرا أنيقا يطالع القادم بحديقة الورد .
واعترض سبيلى بواب مهيب الجسم حسن الهندام
وحدجنى بنظرة مستنكرة فقلت :

— إنى على أتم استعداد لأهبها جميع ما أملك .

فقال الرجل بلهجة قاطعة :

— إنها لا ترحب بمن يجيئون إليها هاجرين عملهم فى
السوق .

السؤال

راحت القافلة تخوض الصحراء ، يقودها عزيز
النأى ، ودق الطبول ، والصمت من حولها محيط ، ولا
يبدو أن لشيء نهاية . وخطر لى أن أتساءل عن الموضع
الذى يجب صاحب القافلة أن يسير فيه .

سمعنى جار فقال :

— فى مقدمة القافلة كما يليق بمقامه . ولكن ماذا
دعاك للسؤال ؟

وإذا يجار آخر يقول :

— بل لعله فى المؤخرة ليراقب كل حركة ، ماذا
يهمك من ذلك ؟

ولم أجد ما أجيب به . وظننت أن الأمر انتهى ،
وأنتى سأعرف الجواب عند انتهاء الرحلة .

ولكنى وجدت الرعوس تتقارب ، والأعين تسترق
النظر إلى ، والريّة تنفّس فى الجميع . رباذ كيف
أقنعهم بأننى لم أقصد سوءا . وأننى لا أقل عن أى
منهم ولاء للرجل ؟

ودنا منى رجل صارم الوجه وقال لى :
— اترك القافلة ودعنا فى سلام .

ولم أربدا من الخروج لأجد نفسى فى خللاء مطبق
وكرب مقيم .



فِي الظلام

كنت راجعا إلى بيتي أخوض ظلمات الليل ولا
بصيص نور يشع في الظلماء ، وارتطمت بشبح فوقفت
حذرا متوثبا وأنا أتساءل :
- من أنت يا عبد الله ؟

فقال :

- لعلك صاحب الحظ الذي أبحث عنه .

- أى حظ تعنى ؟

فقال بعذوبة :

- إنى أدعوك إلى سهرة فى بيتى يحول فيها الحب

والطرب .

فخطر لى أنه يهذى .

وفى لحظة الشك غابت أنفاسه المتردة ، فعلمت أنه

اختفى .

وغصنى الندم على إفلات فرصة قد تكون هى الحظ

المأمول .

وما زلت أدور فى الظلام مناديا حتى بح صوتى .

أقوال من النسيان

طالعني وجهه بوضوح ومن قريب بقوة نفاذة
وهمس في أذني :

— تذكرني لتعرفني حين ألقاك .

ولما صحوت لم تغب عني صورته . وكم شغلت عنه
بالعمل حيناً وباللهو حيناً ، ولكنه يعود بكل قوته
وكانه لم يغب لحظة واحدة .

وأتساءل تحت وطأة القلق: متى يلقاني ؟ كيف يتم
اللقاء ؟ وما الداعي إلى ذلك كله ؟

ويندر أن أطرده عنبي الهواجس حتى في الأحضان
الدافئة ..

ذكاء الجسد

فوق السطح وقفا يتناحيان ، هو أطول قامة وهي
أجمل وجهها ، أما أنا فألعب بالطوق مرة ثم أراقبهما
ولا أفهم . ويغيبان في حجرة السطح قليلا ثم يرجعان



فأعود إلى اشتراق النظر بمزيد من الحيرة .

وجاء الإدراك متعثرا من خلال الأعوام الحامية ..

الشرق والغروب

رأيت في حالين مختلفين

مرة والشمس تشرق عليه فبدا غاية فى البهاء
والجلال ، يتكلم فيجد السامع الحكمة فيما يفهمه من
كلامه ، والشعر فيما لا يفهمه .

ومرة والشمس تغيب عنه فبدا ضيلا مسكينا يهرول
فى أسمال بالية ، يتكلم فيجد السامع الابتذال فيما
يفهمه من كلامه ، والبلاهة فيما لا يفهمه .

الشبه

كان الشبه العجيب بين القاضى والمتهم ملفتا لأنظار
النساء والرجال الذين صحبوا جارتهم أم المتهم إلى
الحكمة .

وتذكر أناس منهم بكري المرأة الذى فقدته فى زحام

المولد . ولكن أحدا لم يربط بحال بين الولد التائه
والقاضى ، وقالت امرأة همسا :
– القاضى ابن ناس أما الولد المفقود فلا يقع إلا فى
أيدي أولاد الحرام .
وكانت الأم قد نسيت بكريها تماما ، ولم تعد تفكر
إلا فى ابنها القابع فى القفص .
حتى نطق القاضى بالحكم الرهيب .
وعند ذاك دوى الصوات فى قاعة الجلسة .

ربة البيت

يا ربة البيت اصحى ، صلى ثم ابسطى يديك
بالدعاء .

جهزى الفطور وادعى إلى المائدة رجلك وأولادك .
عاونى الصغار على تنظيف أنفسهم وكشروا لمن
يركن إلى الكسل .
اكنسى بيتك ورتبيه وتسلى بترديد أغنية .
سوف يجمعهم الحظ السعيد حول مائدة العشاء إذا



سمح الدهر

ويبقى الأولاد للمذاكرة ، ويذهب الرجل إلى المقهى
للسمر .

اغتسلى ومشطى شعرك وغيرى ملابسك وبخري
غرفة النوم . قد شهد اليوم ما يستحق الشكر والحمد .
تذكرى ذلك إذا جاء اليوم الذى يتفرق فيه الجميع
كل إلى سكناه

واليوم الذى لا تجد هذه الذكريات من يتذكرها .

سيدات الحقيقة

عرفت منازل الحقيقة فى عصر الفطرة .
عندما تفرص المرأة أمام طشت الغسيل ، أفرص
قبالتها ، فتلعب يدي فى الماء وتمسرق عيناي النظر .
عندما ألهو فوق السطح فى الليالى البدرية ، أمد يدي
فى الفضاء لأقبض على وجه القمر .
عندما تنزور القبر فى المواسم ، أركز عيني على

جداره لأرى

نعم الرفيق الشغف والمنازل .

شهد الضحك علينا

شهدنا مجلس السمر بالحديقة على أتم ما نكون من
العدد والمرح ، يتقل بنا الحديث من شأن إلى شأن
كالنحل بين الزهور ، والجو الرطيب يضج بضحكاتنا .
في تلك الجلسة نسينا الدهر ونسيناه . وإذا بأحدنا
يقول فجأة ، ودون مناسبة ظاهرة :

— تصوروا أين وكيف نكون بعد نصف قرن ؟!

الجواب أيها الصديق غاية في البساطة ، وإن يكن في
الوقت نفسه غاية في التعقيد ، ولكن لماذا تذكرنا
بذلك ؟

اليوم يمر على تلك الجلسة ربع قرن فقط ، على ذاك
لم يبق من سمارها إلا اثنان .
ويذكر أحدهما الآخر بقول العزيز الراحل .



ويتنهذان ويتخيّلان أين وكيف ما حلا لهما التخيّل .
هل حقا عاش أولئك جميعا ، وتبادلوا المودة والأمل ؟!

أصل الحكاية

سارت فى ظل أمها وكان هو يلعب فى الطريق .
اسعد ما يسعد أمها ضفيرتها الفواحة بشذا القرنفل .
أما هو فكان يلعب الحجلة . توقف قليلا ريثما تمر
الأيام وابنتها الصغيرة نظرت إليه نظرة غامضة ، فامتلا
بالخيلاء وانطلق يعدو ليشهد الجميع على قوته وسرعته .

ودعت الأم بالخير لكل مخلوق وهمست :
— أخاف عليها من النظرة وأخاف عليه من الجرى .
فاشمليهما بالرعاية يا رب .

وكان ثمة رجل جالسا فى ركن ممن يقرعون الخواطر
فقال لها وكأنما لا يعنيه بالذات :

— فلتنظر إليه ما طاب لها النظر ، وليجر هو حتى
تخور قواه فيخمد .

مأوئ النعمة

ما أجمل العصفور فى طيرانه وشده . مرة فى سكرة
من النشوة هتفتُ : يا ليتنى خلقت عصفورا . وإذا بى
أنقلب عصفورا يحلق ويشدو ويشب من غصن إلى
غصن . ومن خبرتى السابقة حذرت القطط والزواحف
وعشقت شعاع الشمس . منذ قديم وأنا أغبط العصافير
على تليقها ورؤيتها لجمال حبيتى الذى لا يبلغه
الهائمون فوق الأرض ، أيقنت مع الجهد الضائع أنه لا
سبيل إلى الفوز إلا بالطيران واستراق النظر من فوق
هامات الشجر . وجعلت أخطف النظرات المحترقة
بالأشواق وهى تتهادى فى أعماق البيت . وارتويت
برحيق الهناء حتى ثملت . ويوما رأيت فوق سور
السطح طبقا مملوءا بالقرطم ، فتحلب ريقى ، ونسيت
الحذر وطرت نحو الطبق ، وحططت عليه ، ورحت
ألتقم بمنقارى الحب بنهم وسرور . وإذا بيد تقبض علىّ
بجنان وصوت عذب يقول :



— أخيراً وقعت ..

وأودعتنى القفص ، وقد بعث مسها فى كيانى
سكرة لا تجيء إلا من خمر الفرديس .

وكلما فاض كأس حظى بالسعادة ، أقبلت بحسنها
الدرى لترنو إلى وتقدم لى الماء والغذاء .

وها أنا يغمرنى جنون السرور والفرح .

وفى أوقات الفراغ أتطلع إلى جماعات العصافير فوق
الشجرة سعيدة بين الشدو والطيران ، ولكن لا شدوها
ولا طيراتها بشيء يذكر إلى جانب قرب الحبيب .

عبد ربه التائه

كان أول ظهور الشيخ عبد ربه فى حيننا حين سمع
وهو يتادى :

« ولد تائه يا أولاد الحلال »

ولما سئل عن أوصاف الولد المفقود قال :

— فقدته منذ أكثر من سبعين عاما فغابت عنى جميع
أوصافه .

فعرف بعبد ربه التائه . وكنا نلقاه فى الطريق أو
المقهى أو الكهف ، وفى كهف الصحراء يجتمع
بالأصحاب ، حيث ترمى بهم فرحة المناجاة فى غيبوبة
النشوات ، فحق عليهم أن يوصفوا بالسكارى وأن
يسمى كهفهم الخمارة .

ومذ عرفته داومت على لقائه ما وسعنى الوقت وأذن
لى الفراغ ، وإن فى صحبته مسرة ، وفى كلامه متعة ،
وإن استعصى على العقل أحيانا .

التمارف

وكان لى صديق خطاط ومن مريدى الشيخ فرجوته
أن يقدمنى إليه ، فمضى بى إلى الكهف مخترقين صحراء
الممالك ، وهناك رأيته وسط صحبه يتبادلون أنخاب
المناجاة فى نشوة هادئة نقية ، فقدمنى صديقى بين يديه
ولكنه استمر فيما كان فيه غير ملتفت إلى مما أضرم
الحياء فى قلبى ، ولكن صديقى أخذنى من يدى
وجلسنا فى آخر الصف .
وهمست فى أذنه :



- الأفضل أن نذهب ..

فهمس في أذني :

- لقد قبل صداقتك ، ولو كان رفضك لطرّدك

بإشارة من يده

وختمت الليلة بغناء طويل جميل ، ولدى العودة

سألني صاحبي :

- ما رأيك في المكان وأهله ؟

فقلت :

- دخلوا قلبي بلا وسيط ، عزوتهم (صحبتهم)

ساحرة ، أصواتهم عذبة ، والمكان جذاب هادئ

ورائحته زكية ..

عندما التقت العينا

مضى زمن قبل أن يلتفت إلى وتلتقي عينا . ولما

شاعت ابتسامة في ملامحه ، وثبت إلى جانبه وقت :

- اقبلني في طريقك ..

فسألني :

— ماذا يدفعك إلينا ؟

فقلت بعد تردد :

— أكاد أضيق بالدنيا وأروم الهروب منها .

فقال بوضوح :

— حب الدنيا محور طريقتنا وعدونا الهروب .

وشعرت بأننى أنطلق من مقام الحيرة .

الانتظار

ولكن لماذا هذا الكهف بالذات ؟

قيل إن سيدة المكان كانت تطوف بالموقع حول الكهف فى المواسم . وكثيرون قد جنوا بسحر جمالها وجدّوا فى البحث عنها دون جدوى . وقيل إنها قد تختار قرينها ذات يوم فى الكهف . وقصد الكهف أناس لا حصر لهم .. ولكن عبد ربه التائه ومريديه صمدوا إلى النهاية .

أغلب أحاديثهم وأغانيهم عن المرأة الجميلة ، ينتظرون الرضا ولا يعرفون اليأس .



مأمور

وجذب انتباهي شخص لا مثيل لنشاطه في خدمة
الإخوان ، فسألت عنه ، فقال عبد ربه التائه :
— له حكاية فاسمعه . ما ندرى ذات ليلة إلا وقد
اقتحم علينا خلوتنا ويقول :
— صدر الأمر بإغلاق الخمارات !
فقلت له :
— شربنا النجوى فاشرب هذه الكأس .
وقدمت له شرابا . وكان سحر المكان قد شاع في
جسده وروحه فشرب . ثم تركنا وذهب . وفي ليلة
تالية رجع مرتديا ملابس عادية وقال باستسلام :
— تركت الخدمة وجئت إليكم ..
فهللنا وكبرنا . ومن ساعتها وهو مندمج في مودتنا .
وفي المواسم يغنى ويرقص حتى مطلع الفجر .

الذكرى المباركة

سألنى صديقى الحكيم عن حلم لا أنساه ، فقلت :
وجدتني فى خماره وسط جماعة من أهل الخير
والبركة ، نشرب ونغنى . وسأل سائل « ترى من
يكون صاحب الحظ السعيد ؟ »
وانزاحت الستار المسدلة على باب الخمار ودخلت
امراة عارية تموج برحيق الحياة وفتنتها .
ووقفنا ذاهلين ننظر . وننتظر . واتجهت المرأة نحوى
حتى التصقت بى ، وحلت عقدة شعرها المعقوص
فانصب حولنا كموجة عاتية فغطانا .
وئمل الجميع بسعادة شاملة وأنشدنا معًا :
بشرى لنا نلتنا المنى





داع

قال الشيخ عبد ربه التائه :
بالأمس وأنا راجع من السهرة قبيل الفجر اعترضني
فى ظلمة الحارة شخص لم أتبين معاملة وقال لى :
- أنا قادم إليك من وراء النجوم .

فهزتنى العزة وقلت بفرح :

- من أجلى أنا هبطت ؟

فقال بنبرة لم تخل من امتعاض :

- لم تسلم بعد من الخيلاء !

واختفى صاعدا بسرعة البرق

فمن يعيده إلى ومعه الغفران ؟!

فسألته :

- وماذا كنت تنوى أن تطلب منه ؟

فأجاب متجاهلا سؤالى :

« الحياة فيض من الذكريات تصب فى بحر النسيان .

أما الموت فهو الحقيقة الراضخة »



الشكوى

كان الكهف عامرا بالخلان ، والنشوة تذيب
الأحجار .

ونفخ نافخ فأطفأ الشموع ، وترددت الأنفاس فى
ظلام دامس

وتهادى صوت إليهم يقول : « فى السماء ضجروا
من الأفعال الخسيسة والروائح المنكرة »
وذهبت تاركا صمتا ثقيلا ، فقال أحدهم :
- إنها رسالة .

فقال آخر :

- بل هو أمر .

وانطلقوا فى الأسواق يحملون على كل نحسيس
ومنكر

وغضب السادة ، فزبحروا بالغضب ، ولوحوا
بالعصى .

الرقص فى الهواء

ومرة قال لى الشيخ : إن القصص التى تنشر ليست
بالقصص الحقيقية ، وأراد أن يقدم لى قصة فقال :

فى أحد أصايب الربيع جذبتنى ضجة نحو الباب
الأخضر . خضت حاجزا من البشر يلتف حول رجل
وامرأة قيل إنهما كانا من مجاذيب الحسين . ثم أغواهما
الغرام ، فهجرا دنيا الأسرار إلى دنيا العشق ، ورؤيا
وهما يترنخان من السكر ، ويتزمان بالأغاني الساخنة .
وكاد الناس يفتكون بهما لولا تدخل الشرطة .

ونسى الأمر مع الزمن . وذات صباح وأنا أسير فى
الصحراء رأيت سحابة تهبط كالطائرة أو السفينة حتى
صارت فى متناول الرؤية الواضحة .

رأيت على سطحها رجلا وامرأة يرقصان ، وسمعت
صوتهما قائلا :

— متى تصعد يا عبد ربه !



عبير من بعيد

قال الشيخ عبد ربه التائه :

سأقتنى قدماى إلى القبر المهجور الذى رحل جميع
من كانوا يعنون بتذكره . وجدته آيلا للسقوط وعليه
طابع العدم . وصدر نداء خفى من الذاكرة ، فأقبل
نحوى جمع من النساء والرجال كما عهدهم الزمان
الأول . وردد أحدهم ما قاله لى مرارا : « لا أغير
ريقى قبل أن أسمع أغنية الصباح فى الإذاعة »

الخلود

قال الشيخ عبد ربه التائه :

وقفت أمام المقام الشريف أسأل الله الصحة وطول
العمر . دنا منى متسول عجوز مهلهل الثوب وسألنى
« هل تتمنى طول العمر حقا ؟ » .

فقلت بإيجاز من لا يود الحديث معه :

— ومنذا الذى لا يتمنى ذلك ؟

فقدم لى حقا صغيرا مغلقا وقال :
- إليك طعم الخلود ، لن يكابد الموت من يذوقه !
فابتسمت باستهانة فقال :
- لقد تناولته منذ آلاف السنين ومازلت أنوء بحمل
أعباء الحياة جيلا بعد جيل ..
فغمغمت هازئا :
- يا لك من رجل سعيد !
فقال بوجوم :
- هذا قول من لم يعان كر العصور وتعاقب
الأحوال ونمو المعارف ورحيل الأحبة ودفن الأحفاد .
فتساءلت بحاريا بخياله الغريب :
- ترى من تكون فى رجال الدهر ؟
فأجاب بأسى :
- كنت سيد الوجود ، ألم تر تمثالى العظيم ؟ ومنع
شروق كل شمس أبكى أيامى الضائعة وبلدانى المذهبة ،
وأهلى الغائبة !



السمع والطاعة

- قال الشيخ عبد ربه التائه :
- قلت له بخشوع وعيناي لا تفارقان طلعتك :
- لم أر أحدا في مثل بهائك من قبل .
- فقال باسم :
- الفضل لله رب العالمين .
- أريد أن أعرف من تكون يا سيدى ؟
- فقال بهدوء وكأنه يتذكر :
- أنا الذى كان يوقظك من النوم قبل شروق الشمس .
- أصغيت باهتمام ، فواصل :
- أنا الذى ناصرتك على الكسل فانطلقت مع العمل .
- فكرت بعمق فيما قال ، واستمر هو :
- أنا الذى أغراك بحب المعرفة .
- فهتفت :
- نعم .. نعم .

– وجمال الوجود أنا الذى أرشدتك إلى منابعه .

– إني مدين لك إلى الأبد .

وساد صمت متوتر ، وشعرت بأنه جاء يطالبني
بشيء ، فقلت :

– إني طوع أمرك

فقال بهدوء شديد :

– جئت لأضع فوق عملى نقطة الكمال .

سؤال عن الدنيا

سألت الشيخ عبد ربه عما يقال عن حبه النساء
والطعام والشعر والمعرفة والغناء ، فأجاب جادا :

– هذا من فضل الملك الوهاب .

فأشرت إلى ذم الأولياء للدنيا ، فقال :

– إنهم يذمون ما ران عليها من فساد .



المشي في الظلام

قال الشيخ عبد ربه التائه :

عرفت الرجل في طورين في حياته الطويلة .

عرفته في شبابه محبا للعبادة ، ملازما للمسجد ،
مأخوذا بسماع القرآن الكريم .

وفي شيخوخته ساقه قدره إلى الخمار ، فأدمن الخمر
متناسيا ما لا يهمه .

وكان يرجع إلى بيته في الهزيع الأخير من الليل ، ثملا
يترنح ، ويغنى أغاني الشباب ، خائضا الظنمة الخالكة .

وحذره محبوه من المشي في الظلام ، فقال :

- حراس من الملائكة يحيطون بي ، ويشع من رأسي
نور يضيء المكان ..

قول

قال الشيخ عبد ربه ذات ليلة فى سهرة الكهف :
— ما أجمل قصص الحب ، عفا الله عن الزمن الذى
يحييها ويميتها .

تعريف

سألت الشيخ عبد ربه :
— ما علامة الكفر ؟
فأجاب دون تردد :
— الضجر .

سيدتى الجميلة

قال الشيخ عبد ربه :
— حدث ذلك وأنا أسير بين الطفولة والصبا .
رأيت فوق الكتبة الوسطى تحت البسمة ، امرأة جالسة



لم أشهد فى حياتى شيئاً أجمل منها . ابتسمت إلىّ فذهبت إليها ، فحنت علىّ ، وقبلتنى ، ووهبتنى قطعة من اللبن . وكنمت السر ليدوم العطاء . وكلما ذهبت إلى الخجرة ، رجعت مجبور الخاطر بقبلة وقطعة من الحلوى .

ويوما ذهبت كالعادة ، فوجدت الحجرة خالية .

هل أفقد الجمال والسعادة ؟

وسألت أمى عن الضيفة الجميلة الكريمة .

فدهشت لسوالى ، كما دهش أبى ، وجعلت أحلف بأغلظ الأيمان .

ولم يصدقا حرفاً مما حكيت ، وساورهما القلق طويلاً .

وظلت الكآبة كامنة فى الأعماق حتى هلت ليلالى القمر .

علم وشك الهروب

حدث الشيخ عبد ربه التائه قال :

— أغرتنى نشوة الطرب ذات مرة بالتمادى فى

الطرب حتى طمعت أن أثب من الطرب الأصغر إلى

الطرب الأكبر ، فسألت الله أن يكرمنى بحسن الختام .

عند ذاك همس فى أذنى صوت « لا بارك الله فى

الهاربين » .

عندما

سألت الشيخ عبد ربه التائه :

— متى يصلح حال البلد ؟

فأجاب :

— عندما يؤمن أهلها بأن عاقبة الجبن أَوْخَم من عاقبة

السلامة ..

ساعة البريد

فى تلك الليلة من لىالى الكهف اشتدت الريح وانهل
المطر . ولعبت دفقات الهواء المتسللة من المدخل ذؤابات
الشمع ، فخفقت القلوب بعنف . ومدوا الأبصار إلى
المدخل وانتظروا فازداد خفقان القلوب ..

وهمس أحدهم :

— يقولون إن ليلة هذا العام مباركة .

وتطلعت القلوب إلى المدخل بكل ما تملك من قوة .



وترامى إليهم صفيـر فـهبوا واقفين ، وعند ذاك دخل
ساعى البريد بزيه المألوف وحقيته ، يكاد يغرق فى الماء
الذى تشربته ثيابه .

وبهـلـوء أعطى كل يد مملوءة رسالة وذهب دون أن ينبس .
وفضوا الظروف ونظروا فى الرسائل على ضوء
الشموع .

وجدوها بيضاء لاشية فيها .
وهتف عبد ربه « العقبى للصابرين » .

عزرائيل

قال الشيخ عبد ربه التائه :

استدعانى المأمور يوما وقال لى :

— كلماتك تدفع الناس إلى التمرد ، فحذار !

فقلت له :

— أسفى على من يطالبه واجبه بالدفاع عن المصوص

ومطاردة الشرفاء !

فصاح بى :

— هذا إنذار نهائى ..

ولما كان عزرائيل يخف لنجدتى فى الملمات ، فقد
تجلى ثوان للمأمور ، حتى ارتعدت مفاصله ، وسقط
عن كرسيه هاتفا :

— الله بينى وبينك !

الرحمة

سألت الشيخ عبد ربه التائه :

— كيف لتلك الحوادث أن تقع فى عالم هو من صنع

رحمن رحيم ؟

فأجاب بهدوء :

— لولا أنه رحمن رحيم ما وقعت !

الواعظة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

اعترضتني فى السوق امرأة آية فى الجمال ، وسألتني :

— هل أعظك أيها الواعظ ؟



فقلت بثقة :

— أهلا بما تقولين .

فقالت :

— لا تعرض عني ، فتقدم مدى العمر على ضياع
النعمة الكبرى .

فِي الحظيرة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

حلمت بأنني واقف في حظيرة أغنام مترامية
الأطراف . وكانت تأكل وتشرب وتتبادل الحب في
طمأنينة وسلام . تمنيت أن أكون أحدها ، فكنت جديا
بالغ القوة والجمال .

ويوما جاء صاحب الحظيرة يتبعه الجزار حاملا
سكينه .

إنتهاء المحنة

سألت الشيخ عبد ربه التائه :

— كيف تنتهى المحنة التى نعانيها ؟

فأجاب :

— إن خرجنا سالمين فهى الرحمة ، وإن خرجنا
هالكين فهو العدل .

❗ تصدق

قال الشيخ عبد ربه التائه :

جاءنى رجل وقال لى : « لا تصدق .. ما أنت إلا
ابن الصدقة العمياء .. وصراع العناصر .. بلا هدف
جئت .. وبلا هدف تذهب .. وكأنك لم تكن »
فقلت له « سبق أن صدق أبوك ما لا يجب تصديقه .
فخسر الراحة والنعيم » .



الفصل الجميل

حدث الشيخ عبد ربه التائه قال :
عشرت يوماً على حقيرة تحوى كنزاً من المال وفيها ما
يدل على شخص صاحبها وعنوانه .
وكان من المنحرفين الذين ابتليت بهم البلاد ،
فقررت ألا أردّها إليه . وأودعتها سرّاً بدروم رجل فقير
من أصحابنا عرف بالتقوى ، وأنا لا أشك في أنه
سينفقها في سبيل الله . ثم علمت أنه ردها إلى
صاحبها نازلاً عن حقه الشرعى فيها ، فحزنت وأسفت .
ثم توفى صاحبنا التقى الفقير ، فهرعت إليه ،
وغسلته وكفنته ، وحملته إلى الجامع ، وصليت عليه .
ولما انتهت الصلاة لمحت بين المصلين خلف نعشه الرجل
الغنى المنحرف وهو يكي بحرارة .
واهتز فؤادى وقلت « سبحانك يا مالك الملك ،
تعلم ما لا نعلم . وربما جاءت الصحوة بإذنك من
حيث لا يدرى أحد » .

دعاء

أصابتني وعكة فزارني الشيخ عبد ربه التائه ، ورقاني
ودعالي قائلا :
« اللهم منّ عليه بحسن الختام ، وهو العشق »

العريس

سألت الشيخ عبد ربه التائه عن مثله الأعلى فيمن
عاشر من الناس ، فقال :
- رجل طيب ، تجلت كراماته في المداومة على
خدمة الناس وذكر الله ، وفي عيد ميلاده المائة سكر
ورقص وغنى وتزوج من بكر في العشرين .
وفي ليلة الدخلة جاءت كوكبة من الملائكة فيخترته
بيخور من جبل قاف .



العزلة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

كنت أعبر ميدانا غاصا بالخلق فرأيت مجذوبا يضرب
بعضاه فى جميع الجهات كأنما يقاتل كائنات غير
منظورة ، حتى خارت قواه ، فجلس على انطوار ،
وراح يحفف عرقه . وطيلة الوقت لم يبال به أحد ،
فاقتربت منه وسألته :

— ماذا كنت تفعل يا عبد الله ؟

فأجاب بحنق :

— كنت أقاتل قوة جاءت تروم القضاء على الناس
ولكن لم يفهم عملى أحد ولم يعاونى أحد .

السـر

طلما سمعت الحكايات عن الملاك المتجسد فى صورة
امرأة ، وكم بحث عنه فى الميادين والطرق والحوارى
وأنا أقول لنفسى : إن رؤيته تضارع رؤية النور فى ليلة
القدر .

وفى ليلة الموسم المباركة سمعت همسا بأنه سيمر عند
السبيل حين سطوع القمر . وتحولت حول السبيل بنينة
العاشق وعزيمة البطل . وإذا بامرأة تلوح لفترة قصيرة ،
فاقتحمنى وجهها السافر الملائكى وغمرنى بالهيام
والنشوة ، ولكنى لم أسع وراءها لعلمى باستحالة
العبور من دنيا البشر إلى دنيا الملائكة .
عند ذاك انكشف لى سر حبيبى الأول .





صوت القبر

قال الشيخ عبد ربه التائه : كنت أسير فى طريق المقابر راجعا من سهرة الخمار . تسلل إلى صوت من قبر وهو يسأل :

— لماذا انقطعت عن زيارتنا والحديث معنا ؟
فأجبتة :

— لا يحلو لكم الكلام إلا عن الموت والأموات ، وقد مللت ذلك .

صفحة القلب

قال الشيخ عبد ربه التائه :
رحت أشاهد قلبى فى مرآة كاسى ، فهالنى صفاؤه ،
وقلت له : « من يصدق أنك خفقت بذلك الحب كله ؟ ..
كيف كنت عالما بموج بالنساء والرجال والأشياء ؟
ولم يبق من دليل يا قلبى على حقيقة ما كان ،
إلا دموع تفجرت فى الهواء ، وتلاشت فى الفضاء .



الثبات

رأيت الشيخ عبد ربه التائه ماشيا في جنازة .
ولعلمي بأنه لا يشيّع إلا الطيبين ، انضمت إلى صفه
حتى صلينا عليه معا . ثم سألت الشيخ عنه فقال :
- رجل نبيل وما أندر الرجال النبلاء . أبى رغم
طعونه في العمر أن يقلع عن الحب حتى هلك ..

ذلك الحب

قلت للشيخ عبد ربه التائه :
- سمعت قوما يأخذون عليك حبك الشديد للدنيا ..
فقال :
- حب الدنيا آية من آيات الشكر ، ودليل ولع بكل
جميل ، وعلامة من علامات الصبر ..

عتاب الموت

قال الشيخ عبد ربه التائه :
مرة ضايقتني فكرة الموت أكثر من المعتاد . كنت

أهمّ بالنوم فخطر لى أن الموت قد يزورنى فى النوم فلا
يطلع على الصباح . وسألت الله السلامة رحمة بأناس
ينتظرون معونتى فى اليوم التالى .
واستغفر الله طويلا ثم غمغم : « شد ما تشربت
عمق التسبيح فى مقام الحيرة » .

الطوفان

قال الشيخ عبد ربه التائه :
سيجىء الطوفان غدا أو بعد غد . سيكتسح النساء
والفاسدين العاجزين . ولن تبقى إلا قلة من الأكفاء .
وتنشأ مدينة جديدة تنبعث من أحضانها حياة جديدة .
ليت العمر يمتد بك يا عبد ربه لتعيش ولو يوما واحدا
فى المدينة الآتية .

فى التجارة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
حذار .. فإننى لم أجد تجارة هى أربح من بيع
الأحلام .



الزمن الحلوة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

وجدتني على ربوة أنظر إلى شاشة عرض مبسطة
في الفضاء . ورقصت فرقة من الفاتنات ، وغنت على
إيقاع كونيّ ، فثرتن من حركاتهن لآلئ النور البهيج .

سألت بصوت جهير :

— من أنتن ؟

فأجبن :

— نحن الأيام القليلة الحلوة التي مرت في غاية من
البهاء والصفاء ولم يشبها كدر .

الراقصان

قال الشيخ عبد ربه التائه :

ما روعني شيء كما روعني منظر الحياة وهي
تراقص الموت على ذاك الإيقاع المؤثر الذي لا نسمعه
إلا مرة واحدة في العمر كله .

المطاردة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
هو يطاردنى من المهد إلى اللحد ، ذلك هو الحب .

الفائز

قال الشيخ عبد ربه التائه :
ذاع فى الحارة أن المرأة الجميلة ستهب نفسها
للفائز . وانهمك الشباب فى السباق بلا هوادة .
ومضى الفائز إلى المرأة ثملا بالسعادة مترنحا بالإرهاق .
وعند قدميها تهاوى قرينا للوجد فريسة للتعب . وظل
يرنو إليها فى طمأنينة حتى لعب النعاس بأجفانه .

الهاوية

قال الشيخ عبد ربه التائه :
حتى أنا شهدتنى حجرة الاستقبال وأنا أنتظر راجيا
التوفيق .



ويدخل الأب وقورا ودودا ، ولكنه ينذر بالقيود
والعواقب .

ودعاني صوت باطنى إلى الهرب .
ثم تجيء هى متعثرة فى الحياء فأسقط فى الهاوية .

الحياء

قال الشيخ عبد ربه التائه :
ما تجلى لعينى إلا نور الوجنات وعذوبة الحياء .
أكرر السؤال فتغوص فى الصمت أكثر .
تجود بكل ثمين ولكنها من الكلام تحفل .

الضيف

قال الشيخ عبد ربه التائه :
- كان بيتنا عامرا بالأحباب
وذاث يوم نزل بنا ضيف لم أره من قبل
وحرصا على راحته أرسلنى أبى لألعب بعيدا .
ولما رجعت وجدت البيت خاليا ، فلا أثر للضيف ،
ولا للأحباب .

حزن الحياة

سئل الشيخ عبد ربه التائه : هل تحزن الحياة على أحد؟

فأجاب :

- نعم .. إذا كان من عشاقها المخلصين ..

القبر الذهبى

قال الشيخ عبد ربه التائه :

رأيت فى المنام قبرا ذهبيا قائما تحت شجرة سامقة
غاصة بالبلابل الشادية .

وعلى صورة نقشت بأحرف جميلة واضحة كلمات
تقول :

هنيئا لمن عاش ومات فى بوتقة الهجران

الكمال

قال الشيخ عبد ربه التائه :

الكمال حلم يعيش فى الخيال ، ولو تحقق فى
الوجود ما طابت الحياة لى .



السحر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
تبدو الحياة سلسلة من الصراعات والدموع والخاوف ،
ولكن لها سحر يفتن ويسكر .

الوفاء في الملاح

قال الشيخ عبد ربه التائه :
آه من تلك المرأة الجميلة التي لا وفاء لها .
لا هي تشبع ، ولا عشاقها يتعظون .

طبيعتنا

قلت مرة للشيخ عبد ربه التائه :
قد أرحب بتعب عام متصل ولكنني أضيّق بعطلة
شهر واحد .
فقال :

طبعنا على حب الحياة وكره الموت .

الكذب الصادق

قال الشيخ عبد ربه التائه :
بعض أكاذيب الحياة تتفجر صدقا .

المشيئة

قال الشيخ عبد ربع التائه :
فى الكون تسبح المشيئة ، وفى المشيئة يسبح الكون .

الحب المتبادل

قال الشيخ عبد ربه التائه :
إنهما اثنان ، بقوته خلق الأول الآخر ، وبضعفه
خلق الآخر الأول .

العقل

قال الشيخ عبد ربه التائه :
لقد فتح باب اللا نهاية عندما قال : « أفلا تعقلون ؟ » .



برقية

قال الشيخ عبد ربه التائه :

فى إحدى ليالى الكهف التى لا تنسى غلبنى السكر
بعد أرق وحيرة . وإذا بذرة هائمة فى أعماق الكون
تهمس فى وجدانى أن أطمئن .

لقاء فى الظلام

قال الشيخ عبد ربه التائه :

وأنا فى مطلع الشباب حلمت هذا الحلم :
رأيت الصحراء متزامية أمامى ، فأوغلت فيها ثملا
بحرיתי . ولما أدركنى المساء أردت أن أرجع ، ولكننى
ضللت سبيلى ، وضعت فى الظلمة كنسمة هائمة .
واستحوذ على الخوف واليأس ، ونظرت إلى السماء
فلم تقل لى النجوم شيئا . وانتبهت على تردد أنفاس
تلفح وجهى ، فجفلت وتساءلت
— من هنا ؟

فأجاب صوت هادئ .

– اتبع شبحى ..

فتبعته مسلما أمرى للمقادير . وكلما مر الوقت دون وقوع ما يريب اطمأنت . ودس الشبح فى يدى قارورة ، وطلب منى أن أشرب ، فشربت شربة روية سرى تأثيرها من الرأس إلى القدمين . وسألت :

– أى شراب هذا ؟

فأجاب الشبح :

– خمر صنعتها فى بيتى .

وكدت أرتعب لولا أن طارت بى النشوة فوق

الهواجس .

وهلت بشنائر الشروق ونحن نسير . ولحت وجهه

على ضوء أول شعاع ، فإذا به وجه امرأة لم أشهد

لحسنها مثيلا من قبل .

ورجوتها أن تقف لحظة . وركعت أمامها فى

خشوع ، وأحطتها بذراعى .



شهيق زفير

قال الشيخ عبد ربه التائه :
مع شهيق الكون وزفيره تهيم جميع المسرات والآلام .

الحرية

قال الشيخ عبد ربه التائه :
أقرب ما يكون الإنسان إلى ربه وهو يمارس حريته
بالحق .

السر

ولم يكن الشيخ عبد ربه التائه يخفى ولعه بالنساء .
وفى ذلك قال :
الحب مفتاح أسرار الوجود .

حديث الموت

قال الشيخ عبد ربه التائه :
رأيت الموت فى هيئة شيخ فان وهو يقول معاتبا

« لو كفت عن عملى عاما واحدا لانتزعت منكم
الإقرار بفضلى » .

التفاؤل

سألت الشيخ عبد ربه التائه :
— لماذا يغلب عليك التفاؤل ؟
فأجاب :
— لأننا مازلنا نعجب بالأقوال الجميلة ، حتى وإن لم
نعمل بها .

ما تشاء

أثار الشيخ عبد ربه التائه عجب بعض المرءدين
بإغراقه فى الحياة الدنيا ، فقال لهم : « افعل ما تشاء
بشرط ألا تنسى وظيفتك الأساسية وهى الخلافة » .

المهزلة والمأساة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
من خسر إيمانه خسر الحياة والموت .



السريعة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
ما نكاد نفرغ من إعداد المنزل حتى يترامى إلينا لحن
الرحيل .

المستشار

قال الشيخ عبد ربه التائه :
حبا فى الهداية قررت زيارة صاحبكم الذى ضجت
الأرض من ظلمه وفساده ؟ طلبت مقابلته فاستقبلنى
مستشاره وقدم لى القهوة . والتقت عينانا لحظة فعرفت
فيه إبليس متكرا . ولما أحس بأننى عرفته ضحك قائلا :
— خسرت هذه الجولة فالعب غيرها ..

الخصم القوى

قال الشيخ عبد ربه التائه :
يا من أيقظتن الفؤاد فى دار الفناء ، أشهد بأنكن
خلقتن الخصم القوى الذى يتحدى الموت .

الاختيار

قال الشيخ عبد ربه التائه :

جاءتني امرأة جميلة تسألني الرأى فى مسألة تعنيها .
ولما وافيتها بالجواب قرأت طالعها فى جبينها الرضاء .
وقلت لها :

« أمامك طريقان ، طريق العفة والسماء ، وطريق
الحب والإنجاب .. ؟ »

فقلت بابتسام واحتشام :

« لقد أعدنى ذو الجلال للحب والإنجاب ، ولكن
أخالف له مشيئة .. »





بحر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
وجدتني في بحر تتلاطم فيه أمواج الأفراح والأكدار .

شكر

قال عبد ربه التائه :
الحمد لله الذي أنقذنا وجوده من العبث في الدنيا
ومن الفناء في الآخرة .

خفقة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
خفقة واحدة من قلب عاشق جديدة بطرد مائة من
رواسب الأحزان .

أنا الحب

قال الشيخ عبد ربه التائه :
كنا في الكهف نتناجى حين ارتفع صوت يقول :



« أنا الحب ، لولاي لجف الماء ، وفسد الهواء ، وتمطى الموت فى كل ركن » .

الإقتحام

قال الشيخ عبد ربه التائه :
حاولت يوما العزلة ، ولكن تنهدات البشر اقتحمت
نخلوتى .

الحب والحبيبة

قال الشيخ عبد ربه التائه :
قد تغيب الحبيبة عن الوجود ، أما الحب فلا يغيب .

تلمن

قال الشيخ عبد ربه التائه :
لا تلعنوا الدنيا فهى تكاد ألا يكون لها شأن بما يقع
فيها .



واجب العزاء

قال الشيخ عبد ربه التائه :

جاءنى رجل شاكيا ، فسألته عما به فقال :

– إنى غريق فى بحر المتع ولا أشبع !

فقلت له :

– سأزورك يوم تشبع ، لأقدم لك واجب العزاء .

الدنيا والآخرة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

إذا أحببت الدنيا بصدق ، أحبتك الآخرة بمجدارة .

بلا ترحيب

قال الشيخ عبد ربه التائه :

الصديق الذى يندر أن نرحب به ، هو الموت .



السِر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
كما تحب تكون .

الوسط

قال الشيخ عبد ربه التائه :
أناس شغلتهم الحياة ، وآخرون شغلهم الموت .
أما أنا فقد استقر موضعي في الوسط .

الترنج

قال الشيخ عبد ربه التائه :
كتب على الإنسان أن يسير مترخا بين اللذة والألم .

الجوهران

قال الشيخ عبد ربه التائه :
جوهران موكلان بالباب الذهبي يقولان للطارق :
تقدم فلا مفر ، هما الحب والموت .

الدورة اليومية

قال الشيخ عبد ربه التائه :
استلقيت فوق الأرض الخضراء تحت ضوء القمر أهيم
فى الرؤية ، فهمست الأرض فى أذنى شاكية :
« ينفسون على لقمتى اليومية . وما فعلت سوى أن
استرددت ما سبق أن وهبت » .

سر وراء السر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
قلت للحياة : حقا إنك سر من أسرار الوهاب .
فقلت بحياء : إن أبنائى يسألوننى ، فلا يجدون
عندى إلا السؤال .

الوقت الأخير

قال الشيخ عبد ربه التائه : « كيف نتعامل مع وقت
الرضا والسرور ؟ »
فأجاب : اعتبره آخر ما تبقى لك من وقت .



انظر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
إن مسك الشك فانظر في مرآة نفسك مليا .

نسمة الحب

قال الشيخ عبد ربه التائه :
« نسمة حب تهب ساعة تكفر عن سيئات رياح
العمر كله .

خطبة الفجر

قال الشيخ عبد ربه التائه لسمار الكهف :
أسكت أنين الشكوى من الدنيا ، لا تبحث عن
حكمة وراء المحير من فعالها ، وفر قواك لما ينفع ،
وارض بما قسم ، وإذا راودك خاطر اكتئاب فعالجه
بالحب والنعم .

الزمن

قال الشيخ عبد ربه التائه :
يحق للزمن أن يتصور أنه أقوى من أية قوة مدمرة ،
ولكنه يحقق أهدافه دون أن يسمع له صوت .

الصراع الشامل

قال الشيخ عبد ربه التائه :
أشمل صراع فى الوجود هو الصراع بين الحب
والموت .

الأصل

قال الشيخ عبد ربه التائه :
أطبق الشر على الإنسان من جميع النواحي : فأبدع
الإنسان الخير فى جميع المسالك .



الخيال

قال الشيخ عبد ربه التائه : « قد يدرك المعمر يوما
أنه أطول عمرا من أجمل رموز الحياة !

الطائر الأخضر

قال الشيخ عبد ربه التائه :
أحببت حتى الذروة ، وحلقت بجناحي النجاح ،
وأطربني الغناء في الليالي البدرية . وعند المغيب هبط
الطائر الأخضر ، فغرد وأشجاني دون أن أفرقه له معنى .

خفقة قلب

قال عبد ربه التائه :
ما بين كشف النقاب عن وجه العروس وإسداله على
جثتها إلا لحظة مثل خفقة قلب .

الحركة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

جاءنى قوم وقالوا إنهم قرروا التوقف حتى يعرفوا
معنى الحياة ، فقلت لهم تحركوا دون إبطاء ، فالمعنى
كامن فى الحركة .

تندم

قال الشيخ عبد ربه التائه :

اخفق يا قلبى واعشق كل جميل وابك بدمع غزير إذا
شئت ولكن لا تندم .

حسن الختام

قال الشيخ عبد ربه التائه :

ما أجمل أن تودعها وقد ازداد كل منكما بصاحبه
رفعة .



عنوان

قال الشيخ عبد ربه التائه :

أُقترح تعليق لوحة فوق مدخل الكهف يكتب فيها :
« الله يديم دولة حسنك »

ما يملأ الفضاء

قال الشيخ عبد ربه التائه :

لولا همسات الأسرار الجميلة السابحة في الفضاء .
لأنقضت الشهب على الأرض بلا رحمة .

الهفة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

كابدت من الشوق ما جعل حياتي لهفة مكنونة في
حنين .

الغباء

قال الشيخ عبد ربه التائه :
لا يوجد أغبى من المؤمن الغبى ، إلا الكافر الغبى .

الغناء

قال الشيخ عبد ربه التائه :
الغناء حوار القلوب العاشقة .

الآن

قال الشيخ عبد ربه التائه :
الحاضر نور يخفق بين ظلمتين .

الدين

قال الشيخ عبد ربه التائه :
الحياة دين ثقیل ، رحم الله من سدده .



الصفح

قال الشيخ عبد ربه التائه :

أقوى الأقوياء من يصفحون .

تذكرة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

عندما يلم الموت بالآخر ، يذكرنا بأننا مازلنا نمرح
فى نعمة الحياة .

الواحة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

فى الصحراء واحة هى أمل الضال .

الحديقة

قال الشيخ عبد ربه التائه :

ما أجمل راحة البال فى حديقة الورد .

الفرج

وفى ليلة الموسم جمعنا الكهف فلم يتخلف أحد .
فى الخارج عوت الرياح الباردة ، وزمجرت .
فى الداخل جاد كل صدر بخينه حتى عمت نشوة
شادية .

وقال الشيخ عبد ربه التائه :
- هنيئاً لمن قام بواجبه فى السوق ، أو تحدى الكدر .
غضضنا الأبصار من الحياء ، وأصغينا إلى ناي الراعى
القديم .

وقال الشيخ :
- أنظروا إلى باب الكهف ، ولا تحولوا عنه الأبصار .
وخفقت القلوب حتى ارتعشت جذورها فى انتظار
الفرج ،

وفى لهفتنا ، رأته البصيرة وسمعته السريرة .



نجيب محفوظ



ألبوم الذكريات

وبعد ، فهذا هو التجوال
المتع في فكر نجيب محفوظ ، في
عوالمه العبقريّة ، في خواطره ،
في ذكرياته ، في نظراته الناقبة ،
في رؤيته الفلسفية .

وهذه كذلك مجموعة مختارة
من صور أديبنا العالمي الكبير ،
تصافح أبصارنا وبصائرنا ، ولكل
منها قصة تُروى في شريط
الذكريات .

« الصور من الأرشيف الخاص بالفنان جمال قطب »



عبد العزيز أحمد
الباشا، والد
الحبيب محفوظ



صورة نادرة تجمع بين الصبي عييب محفوظ وأخوته



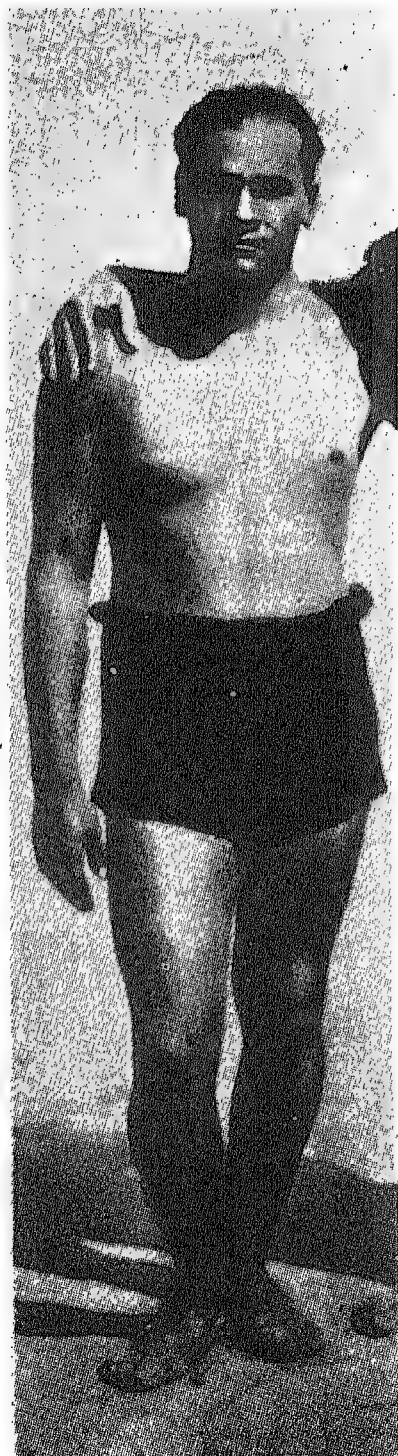
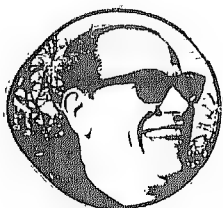




تجيب محفوظ
في مرحلته
الثانوية

تجيب
الطالب الجامعي

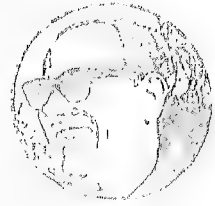
« نجييب على شاطئ البحر
« في المرحلة الجامعية »





صورة تجمع الأسرة - لحيب مخلوط مع زوجته وعطفائه





نجيب وأناقة الحمسين

السيناريست نجيب محفوظ

الاسم نجيب محفوظ
Nom
العنوان 4 منصرم شكري
Adresse
رقم القيد وتأريخه
No. 4/3 Date
الجنسية مصري
Nationalité
المهنة سيناريست
Profession
توقيع العضو
نجيب محفوظ



النجيب
Président du Syndicat





الرجاء ان يكون هذا التقرير قد تم
مراجعة جميع المعلومات الواردة فيه
و ان يكون قد تم التحقق من صحة
البيانات الواردة فيه.



نوع السند في سندات



نجيب في لقاء الجمعة بين صديقيه : عبد الحميد السحار عن يمينه ، وعبد المنعم الخضرى
عن يساره ، عقب الانتهاء من ندوة من ندوات الأوبرا التى استمرت عشرين سنة



قبل عشرين سنة من حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ، كتب الناقد الألماني
جريدة « دى تسايت » أى الزمان يقول : إنهم فى مصر يعرفون نجيب محفوظ ولكنهم
لا يعرفون قيمة أدبه ، فلو كان نجيب محفوظ عندنا لأنفقنا ملايين الجنيهات حتى يحصل
على جائزة نوبل .

قال ذلك فى استعراضه لقصة « عنبر لولو » عندما ترجمت إلى الألمانية ونشرت فى
جريدة « دى تسايت » فى أواخر الستينيات .

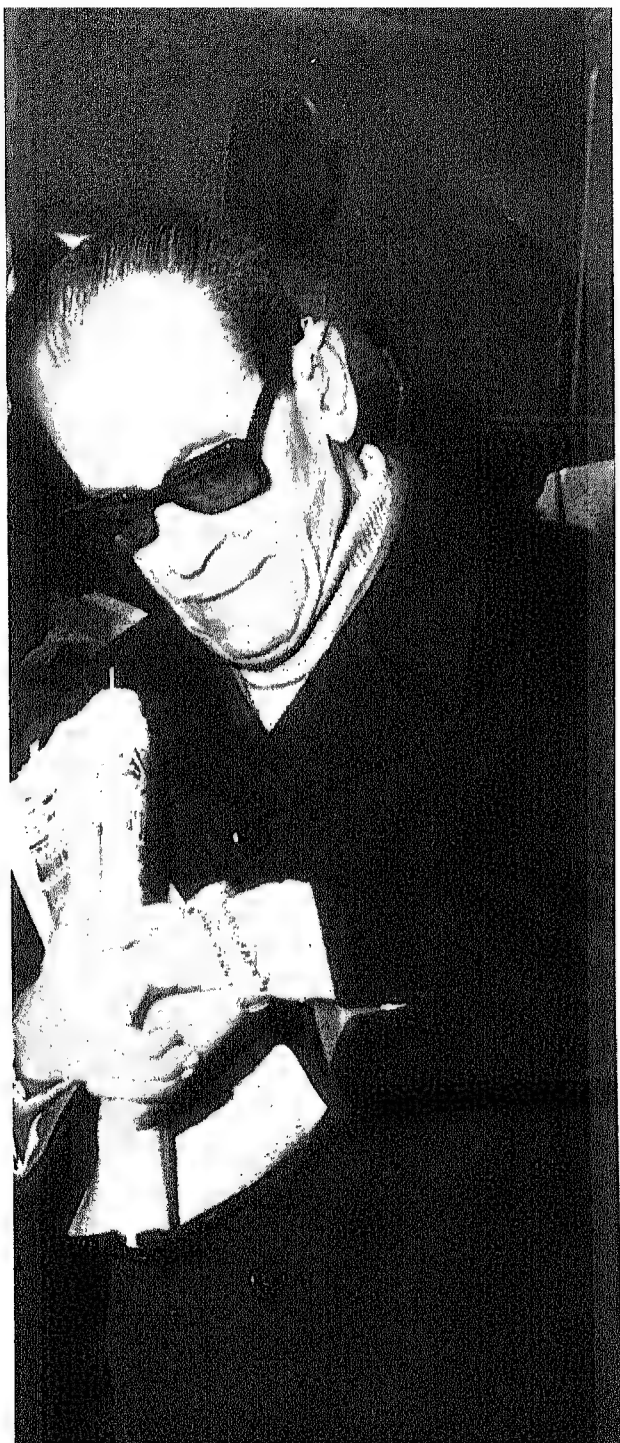
نجيب محفوظ وإلى يمينه كوكب
الشرق أم كلثوم في الحفل الذي
أقامته جريدة الأهرام سنة ١٩٦٢
احتفالاً بعيد ميلاد الخمسين .





عبد محفوظ وناشره سعيد السحار

نجيب محفوظ
مستغرقا في تفكير عميق





فجيب محفوظ وسعيد السحار يتأملان بعض الصور

نجيب محفوظ بين الناشر والفنان

ليس هناك من هو أسبق إلى فكر نجيب محفوظ من اثنين يتلقيان أصول رواياته بحب وشغف ، فيقرآن قبل غيرهما السطور وما بين السطور بتأمل وتفهم ، هما ناشره سعيد جودة السحار ، ومصوره الفنان جمال قطب الذى يجسد خواطره وأفكاره ويخرجها فى قالب جمالى يليق بمكانة أدينا الكبير .

يقول الناشر سعيد جودة السحار : أذكر بعد أن ظهرت الثلاثية سنتى ١٩٥٦ - ١٩٥٧ أن قلت لنجيب محفوظ : « لقد بلغت فى كتابة الثلاثية قمة الإعجاز يا نجيب ، وأنا متأكد أن لو اطلع عليها مقرررو جائزة نوبل العالمية لمنحوك إياها . وقد ذكرنى نجيب بقولى هذا سنة ١٩٨٨ عندما حصل على الجائزة وقال لى : لقد كنت أول من تنبأ بمحصلتى على جائزة نوبل ! وفى سنة ١٩٧٠ عندما نشرت جريدة « دى تسايت » - أى الزمان - الألمانية ترجمة لقصة « عبر لولو » ، كتب الناقد الأدبى للجريدة : إن الناس فى مصر يعرفون نجيب محفوظ ولكنهم لا يعرفون قيمة أدبه ، فلو كان نجيب محفوظ عندنا لأنفقنا مئات الملايين حتى يحصل على جائزة نوبل » .

ويقول الفنان جمال قطب عن انتمائه لعالم لنجيب محفوظ : مع كل مؤلف جديد من مؤلفاته ، أعيش فترات قلقلة لاستلهاهم ما فى رؤاه الإبداعية ، محاولا الوصول إلى آفاقه العلوية التى لم يصل إليها كاتب قبله ، وعندما أقف اليوم محاضرا بين طلبة الدراسات العليا بأكاديمية الفنون أشرح مدارس النقد الفنى ، تستوقفنى « المدرسة السياقية » التى أثرت علوم النقد ببحثها فى شتى المؤثرات الإنسانية ، سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو نفسية أو تراثية ، فأجدها كلها مجتمعة فى فكر نجيب محفوظ وعوالمه الإبداعية ، وكما أن الفن مرّ فى مسيرته التشكيلية بمراحل شتى حتى وصل إلى الرؤية والارتقاء بها إلى الرمزية الفلسفية والتجريدية المطلقة ، وإلى اللاشعور وما فوق الواقع ، أجد أن أدينا العالمى يمثل كل هذه المراحل فى فكر إنسانى دائب العطاء دائم التطور بتعبيرية محلية معجزة ، فهو إنما يكتب ما يكتب بريشة الفنان المبدع .. فأبى فنان وأبى إبداع !!

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الشمس جنيهاً

Bibliotheca Alexandrina



0334698



786